

الاعتراجه الاايبى

مجة فصلة تعنى بأااب المغةرببن خاصة

العاا ٤٤ - ١٩٩٩

طبعة الاانرنا

رئبسا الأااربر : ا. صلاا نبازب

سكراابرة الأااربر : سمبرة المانعا

Address

AL-IGHTIRAB AL-ADABI
P.O.BOX : 203
KINGSTON-UPON-THAMES
SURREY KT2 5PH
ENGLAND

TIL/FAX : 0044-0181 549 0894

E-MAIL: almananiazi@Supanet.com

HOME PAGE : <http://alightirab.cjb.net>

الانرنا : رزكار عقراوبى

ناصمبم ونافابذ : أااما الببوراى

المحتويات

د.علي حنوش	تدهور البيئة الاجتماعية بالعراق
علي الشوك	البياتو
سركون بولص	اللاجيء يحكي
حميد العبيسي	رسائل الفنان لأبيه
عدنان الصائغ	العبور إلى المنفى
حمزة الحسن	سنوات الحريق
حسين السلطاني	ابهام الحكمة
د.عبد الرضا علي	عبد الجبار عباس ناقدا
جلال حسن	موت ماجن
د. فوزي أحمد	كان يا ما كان
عبد الله نيازي	يوميات السيد علي
د. محمد حسين الأعرجي	فطور مغربي
ابراهيم أحمد	قطعة بلا شعر
مالكَة العاصمي	طائر النار
د. محسن الموسوي	الزهر الشقي
جمال الموساوي	خطى ورقاء
محمد رضوان	رائحة الموت
جيمس جويس	يوليسيس
ت: صلاح نيازي	

تدهور البيئة الاجتماعية بالعراق

الهجرات الخارجية

- القسم الثاني -

سياسة الهجرات القسرية (الداخلية منها والخارجية) وثيقة بسياسات التمييز العرقي والقومي والاثني. وتمثل تطبيق تلك السياسية أول الأمر في السبعينات بتهجير ١٠٠ الف من الكرد الفيلية واعتقال اعداد واسعة من الشباب وعوملوا بقسوة شديدة بعد قذفهم على الحدود الايرانية، وتلك العملية تمت ردا على احتلال ايران لجزيرتي طمب الكبرى وطمب الصغرى وجزيرة ابوموسى واعقبها تهجير ما يقرب من ١٣٠ الف مواطن اخر من كرد الفيلية، في الفترة التي سبقت واعقب الحرب العراقية الايرانية. وجميع من هُجروا كانوا مواطنين عراقيين مولدين لاجيال عديدة وليس لهم صلة بالصراع السياسي القائم بين العراق وايران ومنذ ذلك التاريخ بدا نزيف عمليات الهجرة الى الخارج يتواصل في ظل اجواء تتسم بتصعيد القمع والتمييز السياسي والمذهبي والطائفي.

لقد تضخمت اعداد كثر اللاجئين العراقيين في العالم، بسبب من المعاناة المتنوعة الأسباب وفي مقدمتها الحظر الاقتصادي، والإجراءات الغارقة بالقمع وأحوال نقص الغذاء والدواء واتساع ظاهرة البطالة والتضخم. وتقدر أعداد الذين يعيشون خارج العراق بحوالي ٤ ملايين من مجموع السكان (٢٢ مليون نسمة) أي ان نسبتهم تصل الى ١٨ في المائة. ومن بين تلك الحشود البشرية المهاجرة آلاف من المثقفين من فنانيين وشعراء وكتاب واغلب الصحفيين والأدباء والعلماء والباحثين والأطباء والمهندسين والفنيين. واذا قارنا ما بين مستويات المعدلات العالمية للهجرات لنسبة السكان ١:٢٥٥، في حين ان النسبة على المستوى العراقي كانت ١:٦ ولا يتقدم عليها سوى البلدان المنكوبة بالحروب الأهلية كأفغانستان ورواندا. وتتخذ غالبية البلدان سلسلة مشددة من الإجراءات للحيلولة دون تسرب المهاجرين إليها حتى غدت حركة المواطنين في غاية من الصعوبة والتعقيد. وكثيراً ما تُذكر حادثة موت أحد الشبان الأكراد بسبب اختناقه بغازات الزيتون المخمر في شاحنة مغلقة، وقد القيت جثته على قارعة الطريق، واكثر الصحف الغربية من الحديث عن صور غرق العشرات من العراقيين في البحر بين تركيا واليونان او بالقرب من الشواطئ الإيطالية.

تركزت وجهة غالبية الهجرات لضحايا التمييز والعنف الطائفي او القومي في السبعينات إلى البلدان المجاورة، وبالأخص إلى ايران. فقد أعقب عمليات البدء بتهجير الكرد الفيلية في بداية السبعينات، هجرة ما يقرب من ربع مليون مواطن كردي، على اثر قمع الحركة الكردية المسلحة في النصف الثاني من عقد السبعينات. توجهت غالبية المهاجرين إلى الحدود الإيرانية والتركية، بعد ان دمرت قراهم. أما اضخم حركة نزوح وهجرة سجلت، فهي في أعقاب فشل انتفاضة بداية عام ١٩٩١، وهجرة ما يقرب من مليون ونصف مواطن كردي باتجاه الحدود الإيرانية والتركية. وبالرغم من عودة الجزء الغالب من النازحين الى ديارهم بعد توفر الحد الأدنى من شروط الامان، فماتزال اعداد واسعة منهم مقيمين في ايران. وتدلل معطيات الامم المتحدة لشؤون اللاجئين، على ان ايران تحتضن ما يقرب من ٨٥ في المائة من أعداد اللاجئين العراقيين في المنطقة، تليها الأردن وسوريا والمملكة العربية السعودية والدول المجاورة الأخرى على التوالي.

وتعتبر بوابة الأردن من اكبر بوابات العبور الى بلدان المهاجر، وتقدر أعداد الذين خرجوا في الفترة ما بعد حرب الخليج الثانية ما بين مليون ومليونين، تتطلع غالبيتهم للاستقرار في الأخص في كندا، نيوزلندا واستراليا. واعداد الذين استقروا في الأردن غير معروفة بشكل دقيق بسبب الحركة الدائمة للمقيمين.

وتعكس قوافل المهاجرين وضحايا العنف في مخيمات ومعسكرات الدول المجاورة كإيران وتركيا والمملكة العربية السعودية صورا وماسي لا يمكن وصفها بأقل من الكوارث لبيئة الثقافة والحضارة البشرية. واطخر المراحل تلك التي تمر بها حركة الهجرات واللجوء حيناً تتكدس أعداد الكتل البشرية في فترات وجيزة، بحيث تعجز الإمكانيات المحدودة لمنظمات الاغاثة الدولية او الاقليمية عن مواجهة متطلباتها الاولية، من طعام ومأوى وكساء ودواء. ففي إحدى معسكرات اللاجئين الأكراد في (Nowsood) تحت اسم معسكر "سرياس" في إقليم بختيار بشمال غرب ايران، والذي ضم ٢٥ ألف مشرد، اظهرت الخدمات العاجلة عجزا واضحا في معالجة المشكلات الصحية والخدمية. فحركة التدفق المتواصلة للانضمام الى المعسكر ونقص الغذاء

والخدمات الصحية، كانت من بين الجوانب الصعبة التي اكتتفت حياة قاطني تلك المعسكرات. فسرعة تفشي امراض الحصبة والسحايا والكزاز وأمراض التهابات، مقابل نقص الخدمات افضت الى تسارع وتيرة اعداد الوفيات. وكانت نسبة الوفيات في المعسكر تفوق تسعة مرات نسبتها لسكان العراق آنذاك. وقدرت دراسة أخرى نسبة الوفيات من ١٢ الى ٢٥ مرة قياسا للاتجاه الرئيسي لنسبة الوفيات في المناطق التي لم تشهد نزوحاً للسكان. وينطبق الامر ذاته على عمليات النزوح والهجرة الداخلية، وتحديدًا للأطفال دون سن الخامسة من العمر. حيث تظهر معسكرات اللاجئين تزايداً كبيراً لتفشي أمراض الإسهال والحصبة والتهابات الجهاز التنفسي ونقص التغذية والقاحات (الثلاثي) جميعها أسباباً أساسية في تصاعد نسب الوفيات. وخلال عملية المسح التي تمت على أحد مخيمات اللاجئين الاكراد على الحدود التركية في ربيع عام ١٩٩١، وجد ان غالبية سكان المخيم من الاحداث دون الخامسة عشرة من العمر، وتتمت الوفيات خلال الشهر الاول من اقامة المعسكر. وبالاخص للأطفال الرضع وما دون سن الخامسة من العمر وكبار السن. وتبدو الصورة اكثر دراماتيكية للمخيم الذي يقيم فيه ٥٠ ألف من سكان الاهوار الجنوبية في معسكر للجوء على الحدود مع إيران. وكثيراً ما تلتهم حقول الألغام حياة العشرات من المزارعين والرعاة وجامعي الاحطاب والعاشرين للحدود بهدف النجاة. ويفيد بيان مكتب النشاطات الانسانية التابع للامم المتحدة في بغداد ان القتلى الذين سقطوا في اكثر من سبعة الاف حادث في حقول الألغام في المحافظات الكردية الثلاث، بلغ حوالي ٢٤٠٠ شخص منذ عام ١٩٩١ وحتى اواسط عام ١٩٩٨. وسبق للسلطات العراقية ان زرعت ثلاثة الاف حقل الغام في اراضي تلك المحافظات خلال فترة الحرب العراقية-الارمانية، ولا تزال تحوي ما بين ٥-١٠ مليون لغم. والجزء الغالب (٦٥ في المائة) من تلك الألغام في المناطق الحدودية القريبة لمحافظة السليمانية، ويتطلب تنظيفها زمناً طويلاً وتكاليف باهظة.

شهدت البلدان الأوربية الرئيسية تزايداً في أعداد الطلبات للحصول على حق اللجوء السياسي، وبلغت اعدادها ٢.٤ مليون طلب للفترة ما بين ١٩٩١-١٩٩٥. وتمت الموافقة على ٢١٢ ألف طلب منها تشكل نسبة ١١ في المائة، بينما رفضت ١.٧ مليون منها استناداً لاتفاقية الأمم المتحدة لعام ١٩٥١، في حين حصل ٢٠٨ ألف منهم حقوق الإقامة لاسباب إنسانية. وخلال الفترة ذاتها بلغت أعداد طلبات العراقيين ٥٥ ألف طلب شكلت نسبتها ٢.٣ في المائة من مجموعات طلبات اللجوء توزعت على ثلاثة بلدان رئيسية هي السويد والمانيا وهولندا.

وبلغت نسبة قبول طلبات العراقيين في اوربا ٥٠ في المائة مقارنة مع ١١ في المائة لعموم الطلبات للفترة ١٩٩١-١٩٩٥. وأعلى معدل طلبات اللجوء كانت في ألمانيا بنسبة ٢٤ في المائة، تليها السويد بنسبة ٢١ في المائة وهولندا بنسبة ١٨ في المائة لذات الفترة. اما بريطانيا فقد ارتفعت نسبة أعداد طلبات اللجوء بنسبة ٤ في المائة عام ١٩٩٣ والى ١٤ في المائة عام ١٩٩٥ قياساً لعام ١٩٩١. وفي عام ١٩٩٥ كانت مساهمة فرنسا من عموم طلبات اللجوء للعراقيين في اوربا بنسبة ٦ في المائة، ونصيب سويسرا ٥ في المائة، وبلجيكا ٤ في المائة، والنمسا والدنمارك وأسبانيا بنسبة ٢ في المائة لكل منهما، وإيطاليا بنسبة ١ في المائة. واسهمت كل من فنلندا واليونان والبرتغال بنسبة اقل من ٠.٥ في المائة من مجموع طلبات العراقيين لعام ١٩٩٥.

وخلال الفترة ما بين ١٩٩١-١٩٩٥ تم منح ١٦ ألف عراقي الجنسية حق اللجوء السياسي في اوربا، كانت نسبة الممنوحين في ألمانيا هي الأعلى (٤٠ في المائة)، تليها هولندا ٢٤ في المائة، اما بريطانيا وفرنسا فقد منحت ٨٠ في المائة من الطلبات حق الإقامة الاستثنائية. وبشان منح حق الإقامة للعراقيين لاسباب إنسانية مُنِحَ ١٧ ألف شخص، فقد عللت السويد ان نسبة ٥٣ في المائة من الطلبات لا تنطبق عليهم الاتفاقية الدولية لعام ١٩٥١، تلتها هولندا بنسبة ١٨ في المائة والدنمارك بنسبة ١٤ في المائة والمملكة المتحدة بنسبة ١٢ في المائة.

وفي احدث إصدارات مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، بُحِثتْ مشكلات النزوح القسري، وأحوال طالبي اللجوء والنازحين والعائدين والأشخاص الذين يطلق عليهم (بدون جنسية). وفي الوقت الذي يبين الكتاب أهمية العمل الإنساني في حماية أمن هذه المجموعات، إلا انه لا يمكن ان يكون بديلاً عن حتمية احترام الدول لحقوق الإنسان التي يجب ان يتمتع بها مواطنوها.

وقلما وجدت دراسة اوضاع المنفيين والمهاجرين في اوطان اقامتهم الجديدة طريقها للبحث الاجتماعي والاقتصادي على الرغم من أنها أصبحت ظاهرة ملموسة وموضوعاً سياسياً واقتصادياً وامنياً على المستويين القاري والاقليمي والعالمي. وتعدّ مبادرة المنتدى العراقي في بريطانيا، من بين المحاولات الجريئة لاقتحام هذا الموضوع الحساس. فبريطانيا تحتضن اقدم الجاليات العراقية في المهاجر (ولربما اكبرها في اوربا). واطهر الاستبيان ان اغلب افراد الجالية هم من الشباب الذين تتراوح اعمارهم بين ١٦-٣٦ سنة ويكونون ٦٥ في المائة من مجموع عدد الجالية، اما من هم دون سن السادس عشر (بمن فيهم الاطفال) تصل نسبتهم الى ٣٠ في المائة. واطهرت العينة التي اعتمدت للفحص من حيث التركيب القومي ان العرب يشكلون ٨٠ في المائة والكرد ١٣ في المائة والاشوريين ٧ في المائة والتركماني ٢ في المائة والارمن ٢ في المائة واقلية اخرى ٣ في المائة. ومن زاوية مستويات التاهيل الدراسي والعلمي، فقد أظهرت أن نسبة المتعلمين من أفراد الجالية كانت عالية. فنسبة

الذين يحملون شهادات مدرسية وجامعية ٧٥ في المائة، ونسبة الذين يحملون شهادات عالية ٣٣ في المائة للذكور و ٩ في المائة للإناث، وهو مؤشر على ارتفاع هجرة أصحاب الكفاءات العالية. في حين يعاني سوق العمل للكفاءات من صعوبة توفير فرص العمل لجزء واسع من أبناء الجالية، حيث يواجه ٦٠ في المائة من المهندسين و ٤٥ في المائة من الأطباء البطالة. ويعكس تقرير عن بعض أحوال ما يقرب من ٣٠ ألف لاجئ عراقي وجدوا أنفسهم في الولايات المتحدة منذ عام ١٩٨٨. فالغالبية الساحقة منهم كانت الحياة الجديدة مخيبة للآمال، ويعود ذلك إلى مصاعب اللغة والثقافة، وغالبيتهم تزاوّل أعمالاً رتيبة مثل العمل في محطات الوقود وتوصيل فطائر البيتزا وقضاء ساعات مملة في مهمات حراسة أو استلام النقود في متاجر اطعمة، وضآلة الموارد المالية التي ترصدها الحكومة الأمريكية لإعادة توطين اللاجئين.

لندن

علي الشوك

البيانو

منذ سنوات وأنا أكاد انقطع الى موسيقى البيانو وحدها، او مملكة المفاتيح، كما يقال، او مفاتيح المملكة، كما يقال ايضاً. كلا، ليست لدي حساسية من بقية الآلات الموسيقية.

فليس من طبيعة الاشياء ان يعف المرء عن الاستماع الى آلات كالاورغن، او التشيلو، او الكمان... الخ. لكنني اعترف بأن للبيانو سحراً خاصاً علي، الى حد انني افضل احياناً ان اسمع موسيقى بعض الآلات الاخرى، او الاوركسترا، كيفية للبيانو. واعترف ايضاً بأن انشغادي الى هذه الآله، بهذه اللجاجة، يعود الى اسباب عاطفية، اذا جاز القول. وتعود هذه العلاقة الى العام ١٩٦٥ بالذات، يوم تم اطلاق سراحي من الاعتقال، بعد ان امضيت عامين انتقل خلالها بين معتقلات بغداد. لم يكن هناك كثير من المستقبلين، او لا اذكر بالضبط. ربما كان هناك عدد من المهنيين، لكنني لا اذكر سوى صديقي الدكتور رمزي، وابي، وامي، فقط، وتلك المفاجأة التي كانت اثنى هدية اتلقاها بعد الاعتقال.

اصل الحكاية انني عند اجتيازي بوابة معتقل (خلف السدة)، وجدت ابي وصديقي الدكتور رمزي في استقبالي. وبعد العناق، فتح الصديق باب سيارته الخلفي لأبي ليتخذ مقعده، ثم الباب الامامي لأجلس الى جواره... كان ابي كعده، صموتا قليل الكلام، لم يكذب ينطق طول الطريق بغير كلمتي: (اشلونك ابني؟)، وتركنا انا وصديقي نتحدث عن قصة اطلاق سراحي وملابساتها التي لم تنته تماماً عند خروجي من المعتقل. وكنت لا ازال اشعر بالخجل من طقس وداع رفاقي المعتقلين، الذي اقتضى ان اشق دربي الى نهاية القاعة واعانقهم الواحد بعد الآخر، على جانبي القاعة من نهايتها الى بدايتها، وانا افكر في سترتي المدعوك التي ظلت ملفوفة طوال عامين كاملين. وازداد احساسني بالخجل عندما انتهيت من وداعهم وانا اتصور نظراتهم تلاحقني وتشيعني من نوافذ القاعة، مثلما كنا نشيع السابقين ممن اطلق سراهم لا اكاد اذكر شيئاً من وقائع ذلك اليوم، سوى انني قلت، بعد استراحة قصيرة في غرفة الجلوس بصحبة افراد عائلتي المتقلصة (لأسباب مختلفة)، وصديقي رمزي: "ارجو ان تسمحوا لي لحظات لأنفق مكتبتني".

كانت مكتبتني في غرفة نومي التي يتم الدخول اليها مباشرة من غرفة الجلوس... كنت في واقع الحال ملهوفاً لرؤية غرفتي العزيزة التي كنت استمع فيها الى الموسيقى، واشكل الوزارات من اكفاً وأخلص الرجال والنساء في وطني، واحلم برجاء، او سهام، او سعاد، او مريم، عندما آوي الى فراشي... حتى اذا دخلت الغرفة، وقع بصري رأساً على آلة بيانو سوداء انيقة وان كانت مستعملة على ما يبدو، في الركن الايسر المقابل للباب، جنب سريري. لم تصدق عيناى اول الامر. فوجود بيانو في منزلي - في غيابي، وغياب اشقائي الآخرين - كان اشبه بمفارقة، لأن ابي بعيد عن عالم الموسيقى كبعد الارض عن جو السماء. مع ذلك، اقتربت منه، ورفعت غطاءه مبهوراً، ثم مررت بأصابعي على مفاتيحه بحركة غليساندو (١)، وقلت لا بد انه رمزي. وجدته واقفاً عند صيد الباب.

قال: "الصدفة وحدها خدمتنا في شراء هذا البيانو". وازاف "كنت اريد ان اقدم لك هدية موسيقية، وخدمتنا الصدفة".

"شكراً جزيلاً. انت تطوقني بجميلك"

ابتسم: "في الحقيقة، يجب ان نشكر جوزيف، الذي قدمه بنصف سعره، كما يؤكد، بعد ان علم انه هدية لك".
"جوزيف، الموسيقي الذي يعمل في الاذاعة؟ كنت اعرف انه انسان طيب".
(قال انه سيفرح باطلاق سراحك، وسيسعدك لقاؤك).

(وسيسعدني ايضا. ولا بد ان اشكره على تساهله في بيع البيانو).

كان كل شيء على حاله في الغرفة، عدا اكداس الصحف التي كانت تصدر في العهد السابق، وقد احرقها ابي قبل مدهامة دارنا، اما صورة افروديت للفنان بوتشيللي فكانت ما زالت معلقة في مكانها مقابل سريري، وكذلك الصورة الفوتغرافية المؤطرة لعازف البيانو بادريفسكي، وجهازا الراديو والغرامافون اللذان عدت بهما من الولايات المتحدة مع مجموعة الاسطوانات، والمكتبة طبعاً (هناك واحدة اخرى في الغرفة المجاورة). وتذكرت رسالة مريم، التي اخفيتها خلف الحصيرة المعلقة على الجدار تحت مشجب ملاسي. لكنني ارجأت تفقدتها.

بعد فرحتي بالبيانو، القيت نظرة خاطفة على مكتبتي، التي لاح من بين

محتوياتها بوضوح كتاب (لوليتا) بطبعته العربية ذات الغلاف الاخضر... هانذا اخيراً بين ظهراني اهلي، بعد ان عدت الى حياتي الطبيعية الطليقة، وكتبي واسطواناتي، واشيائي الحميمة الاخرى، مع هذه المفاجأة السارة التي احسست على الفور بأنها ستغير ايقاع حياتي تماماً.

وبالفعل، منذ تلك اللحظة صرت اتطلع بلهفة الى الاختلاء بهذه الآله وتوثيق علاقتي بها، لأعوض عن الفرص التي فاتتني في تحقيق هذه الرغبة. لكن الطرف في بادئ الامر لم يكن مواتياً تماماً. فمنذ اليوم التالي كان لزاماً علي مراجعة مديرية الامن العامة بشأن انجاز الكفالة لاطلاق سراحي، ومتابعة الاجراءات المتعلقة بمحاكمتي، فضلاً عن محاولة البحث عن عمل. مع ذلك بدأت مسيرة الألف ميل بالخطوة او الخطوات الاولى، حتى قبل زيارة السيد جوزيف والاتفاق معه على تلقي دروسي الاولى. ففي البدء كانت اللذة في اكتشاف الابجدية الموسيقية، والحرص على تمييز كل صوت من اصواتها، ومحاولة اتقانها على مدى اوكتافاتها كلها.

لكنني لم التزم بمنهج التعلّم التدريجي، حتى بعد ان بدأت بتلقي دروسي على يد السيد جوزيف. فقد تراءى لي ان المسيرة طويلة جداً، ما لم اكنف جهودي في العزف، وشجعني على ذلك ما احفظه في ذهني من المقطوعات والمقاطع الموسيقية، رأيت ان اؤديها بنفسي على البيانو، من دون ان استأذن معلمي او احيطه علماً بذلك. لكن تقدمي في العزف الارتجالي من دون اعتماد النوطة جاء على حساب دروسي النظامية مع السيد جوزيف، التي تتطلب (هدراً) وقت طويل مع تقدم بطيء، في حين كانت محاولاتي الارتجالية تحقق لي - على علاقتها - نتائج سريعة ومغرية. هذا الى انني سرعان ما وقعت فريسة الغرور والرغبة في اداء مقاطع تدرج في اطار التأليف. وبدا لي بريق التأليف مغرياً الى درجة شجعني على شراء مسجل لتسجيل المقاطع التي كنت اعزفها، لكن من دون ان اجروء على اطلاع الآخرين عليها. وهكذا كنت امضي ساعات وساعات كل يوم مع محاولاتي التجريبية هذه، واسجل هذه المحاولات وامسحها باستمرار قبل ان استقر على صيغة ارتضيها. وقد ارهقتني كثيراً محاولات الجمع بين اليمينى اليسرى واليمينى في اداء ايقاعين مختلفين.

وعلى اية حال كان مزاجي طوال تلك الايام سوداويًا، على رغم خروجي من المعتقل، وسرى هذا على خريشاتي او اذا انصفت نفسي استطراداتي الموسيقية. كان عزفي بعامة مالنخولياً، يلهج بالكآبة. ذلك انني كنت في تلك الايام اعاني من حالة انهيار عاطفي بلغ ذروته غب لقائي الاخير بمريم، ذلك اللقاء الذي جاء مباعثاً لي في نتائجه ومخيباً لتوقعاتي.

كنت اتوقع هذا اللقاء واتطلع اليه منذ خروجي من المعتقل. لكنه تأخر لسبب ادركته في ما بعد، إلى ان اخبرني الصديق رمزي، ذات يوم، بأن مريم تزعم ان تزورني بصحبته.

من حسنات الطوفان السياسي الجديد، عندنا، انه لا يعبأ بالتفاصيل، ما دام همه الحضور المادي للشخص المطلوب اعتقاله. لم يكن المعتقلون يبحثون عن مستمسكات تفصيلية، كأوراق او الرسائل او الصحف او الكتب التي تشي بهوية قارئها او صاحبها، عند اعتقال شخصاً ما، كما كان رجال امن العهود السابقة يفعلون، ما دام الشخص المطلوب مداناً سلفاً. لهذا لمت ابي لانه احرق جميع الصحف التي كنت احتفظ بها، لأجل صفحاتها الثقافية بصفة خاصة. وتوقعت ان اجد رسالة مريم في موضعها بين خشبة المشجب والجدار، خلف الحصيرة التي ثبت في اعلاها مشجب الملابس، لأن تفتيش الدار كان هدراً للوقت، ما دمت انا المطلوب بالذات. وقد وجدتها، بالفعل، في مكانها منذ دسستها بين المشجب والجدار، مع ظرفها الغفل من العنوان، مطوية اربع طيات. كانت مكتوبة على صفحة وقفاها من اوراق دفتر مدرسي (يومذاك كانت مريم في الصف المنتهي في كلية الآداب، فرع اللغة الانكليزية)... كانت تتحدث فيها عن ارتياحها الجم الى مشوار الموسيقى الذي امضته معي في غرفة الأستقبال في منزلنا، مشيرة الى اللحن العذب في كونشرتو Grieg على البيانو التي اسمعتها اياها من جهاز الغرامافون. وتحدثت عن روايتي (دون كيوخوته)، و (لوليتا) اللتين استعارتهما مني في لقاء سابق، وعلقت على الرواية الاخيرة، واعجابها بشخصية البطل همبرت همبرت. ولما كنت انا اكبرها بنحو خمسة عشر عاماً، فقد فسرت اعجابها بشخصية هذا البطل على

انه يمكن ان ينسحب عليّ. وهذا كل ما في الأمر، يومذاك. وقع انقلاب شباط ١٩٦٣، وتم اعتقاله، وتعذرت الصلة بيننا، باستثناء محاولة مجهضة من جهتها لمواجهتي، بعدما نقلت الى معتقل (خلف السدة). وكانت تحمل الي، كما علمت، علبة بقلوة، لم تصلني، ولم تتم المواجهة، لأن السلطات قررت الغاءها في اللحظة الاخيرة. ولم تكرر هي المحاولة ثانية، اذ سمح بعد ذلك بالمواجهات الشهرية.

قبل زيارتها لي بصحبة رمزي، لتهنئتي في مناسبة اطلاق سراحي، زارني رمزي (كان تلفوني لا يزال مقطوعاً ومصادراً منذ توقيفي)، وبقي معي فترة من الوقت، صارحني فيها، للمرة الاولى، بان مريم تعلقت به على رغم انه لم يشجعها على ذلك، وفاء لي (هذا الي انه كان متخماً بعلاقاته مع النساء). فاكتشفت انني لم اكن انا همبرت همبرت بالنسبة لها، بل رمزي الذي يكبرها بعشرين عاماً. ولما كانت الكلفة مرفوعة بيننا، وبحكم العلاقة الوثيقة، لمته انا مع ذلك لوماً شديداً، ولم ابرئه من حسن نواياه تماماً، وطلبت منه ان يتخلى عن استجابته الي حبها، بعدما علمت - منه - انه بات يميل اليها واعجب بذكائها ونزعتها التحررية، الي جانب جمالها. لكنه اكد لي انه لا يزال على اتم الاستعداد للتخلي عنها اذا كان - او بقي - لديها ميل تجاهي، وهكذا تركنا القرار لها.

كانت الزيارة حساسة جداً اذن، ومربكة لكلينا، هي وأنا، لكنها كانت مصيرية بالنسبة الي. تعانقنا عند اللقاء. قبل بعضنا بعضنا الآخر من الخدود. وكانت هي أقل مني ارتباكاً، أقل بكثير والحق يقال. وجرى حديث طويل اول الامر عن المياه الكثيرة التي جرت طوال هذين العامين اللذين تصرما منذ يوم اعتقالي حتى ساعة اللقاء: الدماء التي سالت في الوطن، والخراب الروحي، وضياح الحلم، الي جانب الحوادث العالمية العاصفة الاخرى، كمقتل جون كنيدي، وازاحة نيكيتا خروشوف، وموت ناظم حكمت... وتطرق الحديث ايضاً الي فيلم (لوليتا) الذي عرض في اثناء اعتقاله، وشاهدته مريم، والى الفيلم عن حياة فان غوغ الذي عرض عشية الانقلاب ولم يتح لي ان اشاهده ايضاً، الخ... الخ...

يتبع

لندن

سركون بولص

اللاجئ يحكي

اللاجئ المستغرق في سرد حكايته
لا يحس بالنار عندما تحرقه السجارة.

مستغرق في دهشة أن يكون هنا
بعد كل تلك الهناكات:
المحطات والمرافئ، رجال التفتيش...
رعب الأوراق المزورة.

معلق من سلسلة التفاصيل
مصيره المحبوك كالليف
في حلقاتها الضيقة
ضيق البلاد التي
تكدست على صدرها الكوابيس.

حرس الحدود، مافيات التهريب، لو سألتني
كانوا ربماً أهون، وسماء النوارس الجائعة

والسفنُ المعطوبةُ في اللامكان.

لو سألتني، لقلتُ
كانت الصقور والغربانُ أرحم!
والانتظار الأبديُّ في دوائر الهجرة
والوجوه التي لا ترد الابتسامة
مهما ابتسمت
ومن قال أنها أعلى هدية
ومن قال بشرُّ في كل مكان
قال: في كل مكان حجارة!

يحكي ويحكي، لأنه وصل
لكنه لم يذق طعم الوصول
ولا يحس بالنار عندما تحرقه السجارة.

المانيا

حميد العبسي

رسائل الفنان لابيه

من غرفة موحشة باردة، أكتب دون حماس، وحيثُ ومنسي. متقلُّ بالبرد وأنا ملتئم على نفسي بسريري في القسم الداخلي. غرفة صغيرة توقع الكآبة في النفس لمظاهر النقشف التي تبدو فيها، يتوسطها مصباح شاحب ينبض ضوءه على سريرين، كرسي، ومنضدة قذرة تراكمت عليها اوراق واصابع لالوان زيتية خابية. في الخارج يبدو كل شيء غارقاً في ظلمة دبقة وضباب. بالداخل، في المدى المنظور الذي الوح فيه طبعاً من دون بعوض، صراصير وفنران. استحمُّ والاثاث تحت رذاذ من نور كاب. لدى الكثير من الافكار، الآمال، تخيلات غامضة، كل شيء على غير ما يرام، حسناً ابي، هل لديك فضلة من الوقت لقراءة رسائلي، رائع. سأطنب لك بشرح ظروفي التعبة في هذا البيت الكبير الذي يقال عنه القسم الداخلي. بناية كبيرة قد شيدت هناك بعيداً في ركن من اكااديمية الفنون الجميلة. ليس ثمة فرق في ان تفرص في الشارع أو أن تقتعد كرسيًا في فضاء الغرفة البارد. ثمة زجاج مهشم لنوافذ تتجشأ برداً على الدوام. بطانية لا تدرأ زمهريراً، شتاءات باردة قارصة تمرّ. والحال يصعب اذ تواجه كل ذلك بدون تيسر أية تدفئة ممكنة. لقد طالبنا ادارة القسم بذلك الشأن، منحونا وعوداً ولكنهم ما لبثوا ان استقطعوا بعض النقود من مخصصاتنا الشهرية لشراء مدفاه فطوية. الحال ننتظر ونحن في معمعة كانون الأول. لقد اقترحنا على صديقي ان ننام سوية لنقتسم الدفء الذي تمنحه بطانيات مشتركة. وصديقي هذا، ولدٌ طيب ومن عائلة فلاحية فقيرة كذلك. قال ان عشيرته مجتمعة تنوس تحت درجة الفقر المدقع. لا يوجد رجل واحد فيها غني بعد احداث انتفاضة آذار / ٩١. إذ أن صواريخ القصف الحكومي لم تبق على شجرة نخيل واحدة ولا الدبابات ابقت على حرت بعد ان ارتابت الحكومة بوجود جيب من المقاومة في حقول مملكة عشيرته، وهو ليس ايسر حالاً مني ولكنه أكثر تدمراً وبأساً. حسناً كنت اقول لنفسي باننا من نفس المعدن، دون ريب. كنا نتبادل ارتداء زينا الجامعي بالتناوب. مشكلتي الوحيدة هي الشعور بالمرارة المتخلفة من ارتدائي لبنتالي الكوردري الذي اهترأت مقعدته، لحسن حظي فقد كانت سترته طويلة بعض الشيء فهي تغطي مؤخرتي. يقول لي: ان بنطالك قد استحق التقاعد يجب ان ترميه. اجيبه انني لن ارميه، ولم هذا التنطر. لقد عشت وما زلت في حاجة لدرجة لا تسمح لي ان اتخلي عن خيراتي بسهولة... باية حال يمكنني شراء واحد جديد فيما الاستقطاعات الشهرية تناوشتني لهذا الشهر. لغرض تزيين الجامعة باحتفالات عيد الجيش، والجيش كما يزعم لنا هو حامي الامة، فكيف يكون حامياً اصيلاً ما لم تزينه النياشين، اعرفك ابي، ستحتد على تبيد مصروفي على تلك التوافه، لكن الأمر خارج عن ارادتي، انها اوامر تفرض عليك فرضاً وبالقوة، خاصة ان الحرم الجامعي قد أمسى دائرة للامن. اني يمت وجهك ستجدهم كالذباب، وجوه تنضح

بالضجر والقسوة. صادف مرة ان تعثر بي احدهم ودونما منحي فرصة للاعتذار ففزَ عليّ، انهم مهياؤن غالباً لنبش اظافرهم فيك، لا اخفيك الامر، انقضّ عليّ الفحل ووسط كل ذلك الروح والخشية كنت أمل بشيء واحد، بان لا يأخذ ذلك التيس بتشديد قبضته على قماشة القميص، فهي من البلى حيث ان اقل شدّ على النسيج فانه سيسبب في احداث شرخ لا سبيل لاصلاحه باي حال من الاحوال. في تلك المواقف، ان صادف وانزلت قدمك في شرك احدهم، انهم كلاب مسعورة، فلا تكلف نفسك مشقة المقاومة او ان تهم بالجري، فقط تمالك نفسك واترك كل شيء للعناية الالهية. لا احسب كم دامت الزوبعة، تفقدت ممتلكاتي. اوه، فلقد انخلعت الجاكته وتهتك الجانب الايسر من اعلى القميص. اما الصفعات المطبوعة اثارها على الوجنات، لم تكن بذات بال في اول الامر. اما الان وانا ممدد على سريري وحيداً اتمسُ موضع الصفعات وانا أتساءل على وجه من اصبحت اليوم. حقاً كانت صفعات ملتھبة، عجباً لم تكن تؤلمني في البداية لكنها الان تؤلمني...

ثمة سؤال يصرخ دائماً في وجهي: ما هو الاسوأ ان تخطق اسناني من البرد أم من الطوى؟ ما زالت ثمة بقية من برودة تستقر في الفراش، لم يدفأ بعد تماماً، وانا اتقلب برماً جائعاً، فما زالت امامي عشر دقائق اقتلتها قبل ان تنطق صفارة العشاء في المطعم الجامعي. ارقب عقارب الساعة المنضدية وهي تتكّ منصرمة. ضوء شاحب يغمُر الغرفة، انصت الى صوت ضحكات بعيدة واجفل اذ يصلني صوت تصادم عربات قطار في محطة بعيدة، ثلاث دقائق، ففيما الاوصال تهتز كسعة فان الظلال في الغرفة قد ازدادت قتامة، وتختر الصمت بصورة مخيفة حتى توترت اعصابي، دقيقتان واحس بخدر باجفاني واجفل ثانية اذ يطلق قطار زعقة حادة ثم يسود صمت تام. الاحساس بالوحدة يفرض نفسه هنا، اليس كذلك؟ انت ترى انني حتماً لا اقضي وقتاً مريحاً، إلا تعتقد ان الوحدة لا تسود هنا. تستغرفني الافكار واحلام اليقظة هي مفتاح النوم، النوم، واهب اذ خشيت ان اغفو ويفوتني العشاء وهذا يعني ان ابقى اثلوى جوعاً طوال الليل، فانتابني الفزع حتى انطلق صوت الصفارة المحبوبة... هانذا شبع الان وهذا يمكنني ان اتحدث قليلاً، حسناً ساكتب لك عن صديقي ثانية. لقد طرأت ظروف جديدة. فبالرغم من حاجتنا الماسة للنوم معاً، فان ما اكرهه فيه هو الرائحة الكريهة التي ينفثها في تلك الليالي التي يكثر فيها من اكل البصل. يا الهي، انه الجحيم بعينه مع ذلك الشخير. وبطبيعة الحال لا مندوحة لي غير احتماله على علته بسبب عسر ظروف شتاءات الاقسام الداخلية. لكنني افقدت رفقته وصداقته عندما طرأ شيء مزعج لعائلته، حيث انه اخذ يكرر غياباته ولعدة ايام متتالية. وربما هو على وشك الطرد من الاكاديمية. حيث ان عائلته قد اصبحت بأمس الحاجة اليه بعد ان انتحر أبوه. اذ ان أباه كان قد أرتيب في ولائه للحكومة ابان الانتفاضة وعندما القي القبض عليه، في حينها، وشمواً جبينه بذلك الوشم الرئاسي الفخر. كل شيء بات يتردى يا ابي، كل شيء. لماذا هذا الهواء الفاسد، انه يضطرننا مبقيين رؤوسنا تحت سطح الماء الأسن، وان غامرت وحاولت ان ترفع رأسك فان وشمًا منحطاً سيدنس جبينك الأبي. هواك يا ربي، بعض الهواء. لماذا نحن محاصرون حدّ الاختناق؟ انى استدرت ستجد حصاراً ينتظرك! الحصار الخنزيري العالمي، الحصار السلطوي الجائر، حصار الجوع، اليأس، القهر والاحباط. كل الخنادق محاصرة. محاصرون نحن لماذا؟ هذا هو زمن القتل! تبرز عليهم يا ابي، تبرز على القتل ومجدّ ضعفهم. لقد خسرننا المعركة ضدهم ولكننا لم نخسر جذوة الامل التي تعتمل فينا....

صباح يوم جمعة جميل. الوقت هو شتاء العام الثاني لوجودي في الاكاديمية. أفيق بلا عجلة من أمري. استقل حافلة الى ساحة التحرير. أمشي بلا وجهة، متسائلاً شارع الرشيد بطوله، اين اذهب لأحصل على نقود! اتلبث برهة، منتصباً القامة قليلاً، واجتزأ امام المحال التجارية. رغبة مكبوتة ملء قامتي. لدي متسع من الوقت، وعلى عادتي جئنا وخمسون ديناراً بجيبتي. الخمسون وهي ما تكفي لتسديد ثمن كوب صغير من الشاي مليء بالسكر ليبيقي خطوتي مستمرة، ولكن الى اين؟ اجوب الشوارع والازقة الملتوية بمعدة خاوية. ظلال البنائيات حائلة اللون علقت عليها كلمات ثورية سمجة، صور للرئيس، دائماً صور، أينما تلفت ستجده يبش في وجهك بضحكته العقريية، وكأنه يهزأ بك، لا يمكنك ان تتحاشى ذلك، لانه يسد عليك طريقك، اينما ارتحلت وحللت. فوضى على اشدها، انقاض في كل مكان. اوراق متطايرة وغبار، ثم انهي مطاقي بمحال للملابس المستعملة في سوق الهرج. انفرس ببضاعته التي تعافها العين، ماذا يهمني سواء وجدت بنظلاً نظيفاً ام لا؟ فانا مفلس تماماً. لا. كيف لا يهمني، انني شديد الحاجة اليه كحاجتي الى القوت، شيء مغذٍ اضعه تحت حزامي في السابق عندما تضيق بك الحال فانك تستطيع ان تشعر بالشبع، ذلك بالنقاط بعض من حبات اللوز والفسق والحلوى المعروضة في سوق الشورجة في حين بالكاد تشق طريقك بالمناكب وسط ذلك الحشد البشري الهائل! اما الان فلا يمكنني حتى الحلم بها ثانية...

اعتدت ان ارى اصدقاء لي في حانات (ابونواس). وهؤلاء الاصدقاء بميسورك، ان سددت نظرتك بدقة، ان تجدهم وهم غارقون في عتمة الزوايا. الموظفون الموفدون، الهاربون من الميليشيات الشعبية، شيوعيون، فارون، متطوبون. الخ الخ الخ... أنهم بحاجة لرفقة على اية حال. أودعت هذه الفكرة جيبتي فيما انا امخر شارع (ابونواس) بطوله. لقد مرّ طويل وقت فيما اليأس يترسب ببطء بفاح قلبي. لم اجذُ احداً، هم اعتراني. الويل لي. من اين لي ان اكل! قلت ربما فاتني احدٌ ما. فالزمني الجوع بالعودة ثانية بذات الطريق ولكن على الجانب الآخر. نظراتي ارشقها في كل زاوية، الوقت ينصرم واشعرنني بان كل قواي قد بدأت بالخفوت وقد تلاشت بهجتي تماماً. اتهالك على احد مصاطب على ضفة النهر. وانا ما زلت ارمى ببقايا بصوي

في كل جانب. جلستُ واعتصرتُ أمعائي حتى اوقف ذلك النخر اللعين فيها. لم يستغرقني المكوث سوى دقائق معدودات حتى حامت بعض الغربان حولي، فالمنطقه كما هو شائع تقع ضمن الحماية الرئاسية لقصر لا يقطنه الرئيس، ان نظراتهم تكفي وهي تهم بان تقول لك (اغرب عن وجوهنا)، تطردك، تهشك وربما تدعسك.... انا جائع والليل يتقدم بلا هواده، وليس ثمة فنار لصديق. لا يمكن ان اركز كل تفكير في الطعام، لا بد وان اجد شيئاً اخر لا فكر به. دماغي كان اشبه بطنجرة تغلي بالافكلو، آمال، وهي تدور بمجملها حول الجوع، سأترك هذا. حككت رأسي مطرقاً ثانية، حسناً، اذ قال احد الكتاب (تتألف الحياة مما يفكرُ به الانسان طوال يومه). لنفرض ان كان ذلك صحيحاً، فسنوات دراستي ليست سوى أمعاء طويلة هائلة. انني لا اكتفي بالتفكير بالطعام طوال يومي، بل واحلمُ به ليلاً. يجتذني، بعد مضي وقت، شعاع لشمس الغروب وهو يخطر من بين الاوراق ويتساقط هناك، باشعاع داو، على حفافي قباب القصر العاليه، آه، القصور بموائدها العامرة باطياب الطعام، عندما تعنُّ تلك الكلمة على خاطري اهبُ وأفقا واعوي بلا صوت: ايتها الكلاب... اقولها طويلة ممجوجة. ثمة عيون. ما زالت ترد الى ناحيتي، استدرك وضعي، اخفض اصبعي وافعل انشغالا بتحسس جيوبي كمن افتقد شيئاً. واجلس ثانية مفعماً بالاحباط. في اواخر الليل آوي الى الفراش. دائماً برودة بانتظاري. اسحب البطانية فوقى وانا اتطلع بنظرات خاوية في فتحات مكيفات الهواء المعطلة. سكون يقبض على الصدر ويؤلم النفس. اظن. اظن فيما النعاس يحل بي، اني اهدرت يومي وانا اتضور جوعاً..... اعدُ باصابعي، فيما الفجر يبرغ. وأجد ان ثمة اياماً معدودات لوصولي لضفة نهاية الشهر. اجذف، فيما التعب قد برح بي، بقارب متقرب بينا الجوع ما زال يقصم الظهر....

الراتب. الراتب. أشعرتني ثقيلاً فيما النقود تخشخش بجيوبي وانا اتقافزُ فرحاً. شتاء كانون الثاني، ريح عاصفة محملة برائحة المطر. اسيرُ بمعية رسوماتي حتى المقهى البرازيلي، ارتكن كرسيّاً واقلبُ الرسوم غير المكتملة بين يدي. لماذا قال لي الاستاذ بان اغلب اسكتشاتني تنحو منحىً سرالياً والباقي تغرق في التجريد؟ كيف اجيب، اذ كيف يمكنني ان اجسد جوعاً وجياعاً وحصاراً على لوحة من دونما ان تثير تلك الافكار حفيظة احد. يلزمني التفكير مجدداً، سابدلُ جهداً للحصول على افكار جديدة. الحال يغري، اذ أن نقوداً تستقر بجيبي فيما اجلسُ بمقهى دافيء وهاديء، حيث يمكنك سماع سريان الافكار في اوعية دماغك، انها تنزاحم، تتقاطر، ثم تتعاقب. كتعاقب مرور الناس من امام الواجهة الزجاجية للمقهى في ذلك اليوم العاصف الممطر. اناس شديدي الهزال بفعل الحصار. الى درجة انك تشعر بين لحظة واخرى، انهم سينطايرون في الريح، والرياح في المدينة ضارية، تعصف من كل الأنحاء على الدوام، تنتشُد في اذنيك، تصدمك دوماً بعنف في الوجه وعلى الظهر. وباستمرار تدوم في سبيلك اوراق قدرة. لذا ان اردت رسم شخصيات الحصار فيجب ان اتملاها عن كثب! ان ترى نسغ الألم وهو يتزهل على السحن المكفهرة. وليس من خلف زجاج المقهى، ذلك صحيح، حسناً ساتأبطُ اوراقي خارجاً. السماء ما فتئت تهمني بغزارة، فيما مسالك المشاة قد أمست بركا من المياه. اذ انخسفت بعض قطعها الاسمنتية وصار لزاماً عليك الدوران حولها لاجاد موطيء قدم لمواصله مشوارك. بامكاني الاجتياز مخوضاً عبر تلك البرك، ولكني اشعر ببرودة قاتلة بقدمي المبتلين، لقد فاتني ان اذكر، اذ وكما شاء لي الحظ فقد كان حدائي تالفاً، منذ فترة ليست بالوحيزة، وهو الحذاء ذاته الذي كنت قد وهبتي اياه منذ زمن بعيد، اتذكر؟ طبعاً ليس بمقدوري ان احسب الكيلومترات التي كنا قد قطعناها سوياً. لقد كان بمعيتي أكثر من سنة مستوعباً كل خطوة قمت بها. مصاحباً اياي في كل غزواتي وتسكعي. لقد اصبح الان تالفاً تماماً، بلي نعله وانقلع بعض جلده العلوي. ورغم مجهودي اليأس لرأب الصدع في قاع نعله بالناليلون. لكن الشوارع الموحلة كانت دائماً لي بالمرصاد. كانت قدماي تبتلان كلما خرجت، ولم يكن في الوسع تجنب ذلك اطلاقاً، واعتقد ان هذا يحدث غالباً، فقد تجندلت طريح الفراش مصاباً بالنزلة الشعبية (الزكام)، وانت تعرف مشقة ايجاد دواء لهذا، لقد تنازلت عن ثلث ميزانيتي الشهرية، بالدوران في سوق (مريدي) لاجاد بغيثي، وفي الاخير بعدما اوشكت على الانتهاء، لزمت الفراش وشرعت في تناول منقوع (ورد لسان الثور) لاخفف من وقدة الحمى والرشح. لذا فانا لست من الغباء لاداغ مرتين من ذات الجحر. لذلك سأؤجل مشروع لحيين اخر... في اواخر ساعات النهار خف هطول المطر وان بقي الهواء ندياً بارداً وانسحبت الغيوم مخلفة نقفاً منتشرة لمقدم المساء الذي فيه يبدو شارع الرشيد كله اشبه بشارع مهجور، تحوم فيه الارواح العجفاء، وجوه ذاوية اضناها الجوع وسحقها الحصار، وجوه للاستعمال اليومي، وجوه لتقاوم البلى، السأم، القهر والاستلاب. اناس يعيشون كفاف يومهم ولا يفكرون لحظة في المستقبل. احذر ان تسير بمفردك مساء في الشوارع المهجورة ما لم تكن مسلحاً بشيء تبرزه عند الحاجة اليه، وانا وان كنت ضبعاً بينهم على الاقل الان، فانا ضبعٌ واهن القوى. وانا بطريقي الان، بصدد تسمين نفسي. اربت على معدتي واقول ضاحكاً: اعرف انني بمسيس الحاجة الى مشروب ليعث الدفاء باوصالي، حسناً. ادلف مطعماً متواضعاً واطلب لنفسني شطيرتي لحم مقدد، يفاجئني النادل بانه لا يتوفر لديهم رغيف، سوى خبز الشعير. اللعنة على تلك الحجارة. على اية حال ازدردهما بعون قليل من البيرة، طبعاً رائع ان يتحرر المرء من جوعه الذي لا يستطيع منه فكاكاً، اطلب واحدة اخرى واتحسس جيوبي. كلنت متعة لي ان أكسر ورقة بمائتي وخمسين ديناراً لوجبة! طلبت شيئاً ولم لا؟ وكسرت ورقة اخرى، قربتها من الضوء اولاً لانظر الى العلامة الخفية الجميلة (الحصان). كانت ورقة نظيفة، جديدة، وهي تخشخش بين اصابعي. التعامل لذيد بنقود كهذه. ثم

ناولني النادل كمية كبيرة من الاوراق المالية القديمة القذرة المرقعة بشرائط من الورق اللاصق، وتجمعت لـدي كومة من الخمسات والعشرات وملء كفي من ذوات الدينار، نقود حائلة اللون. وبعضها متقوية بجمر السيجار وثمة عبارات نابية على قفا الورقة..... كم مضى عليّ وانا اتسمع لتلك الموسيقى النائحة لم تكن موسيقى، بل أن صوت المغني كان يعطو مدويًا في ارجاء المكان. تماما مثل نداء بعيد لـماعر جبلية ضالة. انه ذات المغني وذات الشريط، فلم يكن مسموحا بطلب اغان، ثمة قطعة تشير بذلك. تسمع ما يريدون ان يسمعه لك، كم الساعة الان؟ قيل هنيهة كانت قد انطلقت الساعة برناتها العديدة، وأن هـي تضرب طريقة واحدة، رحى تذكر، ذلك شاق عليّ، اية ساعة إلا ربعاً، لا بأس، اية ساعة إلا ربعاً؟ الوقت! انه يمضي سريعاً، لا بد ان للزمان دم الحـرباء، انه جواد مجنح حينما نكون سعداء، ولو للحظات، ولكنه دودة تجرُ عجيزتها بتثاقل عندما ينهش الجوع احشاعنا....

الولايات المتحدة
كتبت بمخيم رفحاء - السعودية
16 / 9 / 1994

عدنان الصائغ

العبور إلى المنفى

أنين القطار يثير شجن الأنفاق
هادرا على سكة الذكريات الطويلة
وأنا مسمر إلى النافذة
بنصف قلب
تاركا نصفه الآخر على الطاولة
يلعب البوكر مع فتاة حسيرة الفخدين
تسألني بألم وذ هول
لماذا أصابني متهرئة
كخشب التوابيت المستهلكة
وعجولة كأنها تخشى ألا تمسك شينا
فأحدثها عن الوطن
واللافتات
والاستعمار
وأمجاد الأمة
والمضاجعات الأولى في المراحيض
فتميل بشعرها التثيث على دموعي ولا تفهم
وفي الركن الآخر
ينثر موزارت توقعاته على السهوب
المغطاة بالثلج...
وطني حزين أكثر مما يجب
وأغنياتي جامعة وشرسة
سأتمدد على أول رصيف أراه في أوروبا
رافعا ساقي أمام المارة
لأريهم فلقات المدارس والمعقلات

التي أوصلتني إلى هنا
ليس ما أحمله في جيوبي جواز سفر
وإنما تأريخ قهر
حيث خمسون عاما ونحن نجتز العلف
والخطابات....

..وسجائر اللف
حيث نقف أمام المشانق
نتطلع إلى جثتنا الملوحة
ونصفق للحكام
.خوفا على ملفات أهلنا المحفوظة في أقبية الأمن
حيث الوطن
يبدأ من خطاب الرئيس
.وينتهي بخطاب الرئيس

مرورا بشوارع الرئيس، وأغاني الرئيس، ومتاحف الرئيس، ومكازم الرئيس، وأشجار الرئيس، وصحف الرئيس،
واسطبل الرئيس، وغيوم الرئيس، وتمائيل الرئيس، وأفران الرئيس، وانواط الرئيس، ومخصيات الرئيس، ومدارس الرئيس،
ومزارع الرئيس، وطقس الرئيس، وتوجيهات الرئيس....

ستحرق طويلا
في عيني المبتلتين بالمطر والبصاق
وتسألني من أي بلاد أنا...

مالمو - السويد

حمزة الحسن

سنوات الحريق

- هل ثمة حكمة في أن أنتظر هنا النسيان، الأمل، بزوغ الشهوة، التعود على الثلج، الليل القطبي، نهاية الخوف، الخروج
من المغارة العميقة التي يكونها الذعر والمطاردة في الروح، نهاية هذا القرن؟ قلت لكاترين عندما جاءت:
- كم تبقى على نهاية هذا القرن؟
 - ليس كثيرا.
 - أليس مضحكا، كاترين وخلال نصف قرن لم أجد مسكنا أو رائحة مكان؟
 - هذه رغبتك.
 - كلا.
 - كنت أريد أن أقول هذا اختياريك انت.
 - من قال؟ كنت مجبرا. هل تعرفين أن ما يجرحني أكثر هو أنني ضحية قوى تافهة، لا بطولة، ولا مجد في مواجهتها
ابدا. هل ستأتي نتاليا الليلة؟
 - بزغ من عينيها شيطان صغير، أحمر:
 - لا.
 - هل كانت هذه الأحداث تقع قبل وصولي هذا المنزل؟

- وبعده ايضا. هل تعتقد اننا يجب ان نورخ حياتنا على ضوء قدومك؟ هل انتهيت من العشاء؟

- نعم، وأشكرك كثيرا. وألان إسمح لي ان أتركك هذه الليلة.

هجمت عليّ العاصفة، ورائحة الصخور الرمادية المبللة، والليل، ومصابيح المقبرة وسكون الخليج الثلجي، وأضواء محطة القطار، والحيطان، والصورة القديمة، وظلال الأشجار العملاقة، والصمت الأز في الممر، وصرير الأبواب، واللهب البرتقالي المتولد من انفجار القنابل، والتوابيت المرمية في حديقة المستشفى العسكري تحت قمر صيفي مشتعل، وصراخ. الزنازين، والفنادق الرخيصة في الباب الشرقي، وعطر صوفيا، والدم النازف من الخشبة، ومن صراخ الخشبة، فم كقدح مرمري تحت ضوء القمر، كحكاية قديمة تطلع من النهر، كلهب، كحريق، كحشجة كاظم النجار، كتابوته تحت الثلج.

صوت العاصفة في الخارج يعوي كذئب في برية، كصوت كاظم النجار في ليلته الأخيرة قرب صخب البحور. لا أدري لماذا عادت من جديد مشاهد موته هذه الليلة، وبهذه الصورة الحادة والملحة. هل حقا مات كاظم النجار أم أنني شاركت في مشاهد موت مزيف؟ هل مات حقا وحيدا على يدي أم أنه سافر أو اغتيل أو خطف؟ هل ثمة دليل على موته؟ وهل من دليل واحد على حياته؟ هل الشاهدة الحجرية هي الشاهد الوحيد على موتنا وحياتنا ومرورنا العابر فوق هذه الأرض؟ أتذكر جيدا - على عويل الريح الليلة - تلك اللحظات المشؤومة التي قضيتها الى جواره: نظراته الزائغة، خوفه من هذه الميتة التي تشبه القتل، رغبته في فتح النوافذ على الليل والبحر والريح. هذه آخر الأصوات، يا طفل المنفى. لم يأت لوداعك أحد عدا البحر. من يحمل عنك حقائب السفر، حشجة الإختصار، لوعة الوداع العاجل، ليالي بغداد القديمة، ذكريات سنوات الجمر والحريق:

سجن نفرة السلطان في الخمسينات، مظاهرات الشوارع، قتلى الجسر، المطاردة، قيام الجمهورية، الإنقلاب الأسود في شباط (فبراير) سنة ٦٣ و قتل الزعيم، الليلة الأخيرة قبل الانقلاب؟ تلك الليلة مزروعة في ذاكرته كوشم، كمجرى مائي محفور في الصخر، كعلامة على الأسر: كان يسهر في ماخور للدعارة في الصابونجية قرب وزارة الدفاع. وفي الصباح أيقظته عاهرة مذعورة على صوت الرصاص القادم من المبني المجاور.

قال لها بين اليقظة والنوم:

- هل هي مداهمة؟

- إنقلاب! كان عاريا كصباح ذاك اليوم، كالتاريخ، كالغفلة. إرتدى ملابسه على عجل، واطل من نافذة الماخور على الحريق والرصاص والدبابات في الشوارع. كان صوت الراديو يزقق بالأناشيد الحماسية والبيانات ونداءات منع التجول. فكر بينه وبين نفسه: هل من المعقول أن أكون في ماخور في نهار كهذا؟ حاول الخروج، لكنه لم يستطع. قالت له صاحبة الماخور: أنا لا أعرف شيئا. هل تعرف؟

- أبدا. لقد تساوينا في موقف واحد!

- هل حقا قتلوا الزعيم؟

- من يدري.

- قالت وهي تحديق عبر النافذة:

- أنظر ما يزال يقاوم في الوزارة، وحيدا.

- ولكن اين ذهب الجميع؟

- اي جميع؟

- الجيش، ألحزب، الجماهير.

- الست واحدا منهم.

- يجب أن أخرج.

- الى أين؟

- الى الشارع.

- في هذا الوقت.

- وفي هذا الوقت. من غير المعقول ان أموت هنا وفي هذا المكان هذا النهار، وهذه اللحظة.

- من الأفضل ان تبقى هنا.

- لا أريد ان اموت في هذا المكان.

- ان تبقى حيا هنا، خير ألف مرة من قتيل في شارع.

- لن أبقى هنا ولو فشل الانقلاب

- هل تشعر بالخجل من المكان؟

- نعم.

- وترككم الزعيم يقتل وحيدا؟

- كفي عن الكلام الان.

خرج الى الشارع، راكضا. كان أعزل من السلاح. رصاص خلفه، وفوقه وتحتة. لكن الى اين يذهب؟ أي مكان اشرف من الموت في ماخور في هذه الساعات الخطيرة. كل الشوارع فارغة. المحلات مقفلة. شارع الرشيد مهجور الامن القلط والعربات العسكرية. ساحة الميدان تبدو مهجورة. مقهى أم كلثوم مقفلة. رصاص. طائرات تقصف وزارة الدفاع. حدث نفسه وهو مختبئ تحت مظلة مقهى في شارع فرعي: كيف حدث هذا؟ كيف؟
قال لي كاظم النجار عن تلك الأيام:

- كنا شركاء في تلك المجزرة: الضحايا والشهود والقتلة. تساوينا في الخسارة والمنفى والقبور الآن. سجنني الانقلابيون في سجن خلف السدة. إمتلأت السجون بالمعتقلين. إعدامات وتصفيات وإغتيالات. أخيرا هدأت الأوضاع حتى جاء إنقلاب تشرين أول (إكتوبر) وأطلق سراحنا.

وتنفجر ضحكته حين يسخر. أضاف:

- أغلب الذين سألتهم عن سهرتهم في تلك الليلة أجابوا انهم كانوا في ملهى أوبار أو ماخور، ما عدا أحدهم قال لي صراحة انه كان يقضي ليلته يتلصص عبر ثقب في الجدار على حمام نسوان. سألته:

- إذن من الذي كان يقظا تلك الليلة؟

ضحك وحرك الهواء ببديه علامة الضجر والغضب:

- الملحق العسكري، عقداء الانقلاب، مدراء شركات النفط الأجنبية، رؤساء المخابرات الدولية، حتى راقصة في ملهى كانت تعرف بالخبر عن طريق عشيق ضابط.

هذا هو كاظم النجار ينام الليلة قرب البحر، ليلته الأخيرة، بلا أوجاع، بلا ذكريات، بلا تلك الضحكة المدوية التي تشبه الإنتقام أو الندم.

من فينا الميت الليلة؟ أنا أم هو؟ ما الذي يفصلني عنه: النبض، أم الزمن، أم صوت البحر؟ قلت:

- وماذا كنت ستفعل. لو لم تكن في ماخور؟

- لا شيء طبعاً. لكنه سيكون افضل على أية حال.

- ماذا فعل الذين خارج الماخور؟

- لا شيء أكثر من مظاهرات هنا أو هناك.

- والزعيم؟

- ظل يقاتل وحيدا في انتظار أحد ما.

- أعتقد انه كان ينام على خدعة كبرى.

- كلنا كذلك. كنا نتصور ان صيانة الثورة ستتم بالأفتتاحيات والشعارات على الحيطان وهتافات الغوغاء. لكن من دفع الثمن في النهاية؟ الجميع بما في ذلك القتلة. عندما خرجت من السجن كان الوضع قد تغير تماما: الشعارات، الوجوه، المواقع، المناهج. لكن الأمر لم يستمر طويلا بعد إنقلاب تشرين. كانت السجون تفتح وتغلق حسب المواسم وأفراح الرئيس والأعياد. حتى خروجنا من السجون بالآلاف بصور على انه هدبية أو مكرمة من الرئيس. لا أحد يسأل لكن

لماذا كل هذه الجموع في السجون أو لا؟

- متى إذن هربت للمرة الأخيرة؟

- عام ٧٨ بعد حملة الاعتقالات الشهيرة والتواقيع الإجبارية، هربت الى سوريا، وهناك عملت نجارا لسنوات طويلة، ثم لبنان، المانيا، ثم سافرت الى النرويج بجواز مزور.

كان يردد في نوبة الإحتضار والغيوبة: حريق! حريق! لم تكن هناك وصية دفن، أو رغبة ما. مع ذلك قررت وضع إعلان في صحيفة واسعة الإنتشار يتضمن خبر الموت، مع موعد الدفن. ربما تكون ثمة علاقة ما، قد تظهر على ضوء الإعلان. هذا هو سبب النشر. ظهر اعلان الوفاة بحجم صغير لا يتجاوز علبة تقاب. هكذا تم إختصار حياة كاظم النجار بمربع صغير في صحيفة أجنبية. من الغريب ان الإعلان ظهر قريبا من إعلان آخر عن بيع ثلاجة قديمة. الى جانبه اعلان عن بيع مجموعة كراسي، ومنضدة، ومكنسة، وأدوات صيد سمك، وشقة للإيجار.

اعلان الوفاة كتب حسب الصياغة الشائعة في النرويج، بدون حاجة للمراثي المعهودة. يقول الإعلان:

(توفي ليلة أمس اللاجئ العراقي المقيم في النرويج منذ عشر سنوات كاظم النجار . وسيدفن الخميس القادم حسب طقوس بلده، في مقبرة... الساعة العاشرة صباحاً).

وضعت رقم هاتفه في الإعلان. جاءتني مكالمات عديدة من مدن بيرغن، أوسلو، ترندوهايم، كريستاند، ساند، ستافنكر، أولسن، فولدا، وحتى من إستوكهولم، دمشق، كوبنهاغن، بيروت، وهامبروغ.

بعضهم طلب مني ان أكون أمينا على وصية المرحوم. البعض الآخر سألني عن كلماته الأخيرة، والناس الذين طلب رؤيتهم قبل ان يداهم الموت. قلت أنه لم يذكر أحداً، ولم يرغب في رؤية أحد. سألني آخر عن حجم ثروته، وطقوس الجنازة وكيف كان المرحوم صديقه المخلص. قال انه من المانيا سألته.

- ألسنت انت الخطيب؟

- نعم هو أنا. كيف عرفت؟

- حدثني المرحوم عنك طويلاً.

- وماذا قال لك؟

- قال أنه جاء لزيارتكم في هامبورغ من النرويج بعد فراق طويل،

واشواق، وأحلام، وشعارات قديمة، وسجن مشترك، وتشرّد، عندما وجدكم تعملون في التهريب والتزوير والسرقه والمخدرات وحوالتم سرقته في البار في نفس الليلة. أغلق الهاتف، حالاً. تحدثت مع السلطات المحلية حول إجراءات الدفن. سألوني إذا كان ثمة طقوس يجب القيام بها لها صلة بالدين والتقاليد. قلت ان المرحوم لم يُعرف عنه ميول دينية واضحة أو علنية رغم استغراقه في الفترة الأخيرة على قراءة تاريخ الأديان.

- هل تفضل القيام بطقوس خاصة في الكنيسة قبل الدفن؟

- لا أعتقد ان ذلك مهم جداً.

- من سيتكفل بال غسل؟ أجبت حالاً:

- أنا. هذه وصيته الوحيدة.

- هل هذه تقاليد دينكم؟

- نعم. وشيء آخر ان علاقتي بالمرحوم حميمة.

- هل ثمة تراثيل؟ بيانو مثلاً؟

- فات الأوان على ذلك.

- لماذا؟

- كان يمكن ان يحدث ذلك في حضور اصدقاء. سيكون أفضل.

استيقظت باكراً نهار الدفن ولم يحضر كما هو متوقع أي شخص آخر. فتحت نافذة الغرفة، غرفة كاظم النجار، على البحر والفجر ونسيم هادىء قادم من بعيد، من حافة البحر الأخيرة. كان ثمة موسيقى حزينة تتبع من منزل أحد الجيران. كان صعباً علي تحديد هوية تلك الموسيقى لإختلاطها بصوت البحر الخافت، والريح، وحركة الكائنات الصغيرة التي يوقظها الفجر. حط عصفور على النافذة. وظهر في المدى النائي، البعيد، الشفق اللازوردي الأحمر فوق البحر. قلت مع نفسي ان هذا النهار النادر لا يصلح، مهما كلف الأمر، لقداس جنائزي. اعتقد ان كاظم النجار كان يطل كل يوم على هذا المشهد. إنه بلا شك مشهد ساحر، ومثير، لكنه كئيب بالنسبة لرجل وحيد، وأعزل، ومنفي. كم هي مهينة مهنة المنفي!

كان يجب علي ان أجهز الجثة للدفن. ليس ثمة حاجة للقناع. فنحن لم نكن نحمل وجوها، في كل الأحوال. حقيقة، كنا نحمل أسماًلاً أو رسومات عبثية. هناك وجه للحرب. وهناك وجه للفرح الرسمي. وجه للإحتفالات بأعياد النصر أو الهزيمة، وكلها تتشابه في البيانات الحكومية. وجه للذهول. وجه للتعاسة. وجه للأحزاب. وجه للطقوس. خذ وجهك وانصرف، ايها العراقي. خذ قناعك أيها الأرق. كن شهيداً، كن مخبراً، كن قاتلاً، طبّالاً، كن قواداً، كن أي شيء أو لا تكون.

كنت ذاهباً الى تلاجة الموتى كما لو كنت ذاهباً الى موعد أو لقاء. وكنت أحت الخطى. كان الثلج يهطل بغزارة أكثر من أي يوم آخر.

في المستشفى، سألتني فتاة شقراء عن إسم المتوفى:

- كاظم النجار.

- هل هو عراقي؟

- نعم.

- لماذا يجب أن يدفن هنا؟

- لأنه لا يوجد أي مكان آخر.

- بلده مثلاً؟
- ممنوع دفن جثة أي شخص هارب إلا بموافقة السلطة العليا.
- ولماذا لا توافق السلطة العليا؟ هل يخافون من جثة؟
- لا توافق في الغالب. هذا عقاب إضافي حتى بعد الموت. هل تقتضي عملية الدفن هذه الأسئلة؟
- لا. يمكنك ان لا تجيب على أي سؤال لا تريده. هل انت الذي ستغسله بنفسك؟
- نعم.
- يمكنني مساعدتك إذا رغبت.
- شكراً، سأطلبك عند الحاجة.
- عندما فتحت باب الثلاجة خيل الي ان كاظم النجار سيقفز، مسروراً، لمعانقتي، كما كان يحدث حين كنت أزوره سابقاً.
- بأخذني اليه وهو يردد:
- هذا انت! اقول له، مازحا:
- مازال عنقك منتصباً؟
- تدوي ضحكته، عذبة، طرية، طفولية:
- لم يبق الا هذا العنق. كل المراهنات عليه. هل كانت رحلتك ممتعة؟
- الطقس ثلجي وبارد. أجمل ما في الرحلة هو انك هدفها.
- تعال، إذن. هل تشرب شيئاً؟
- ليس ماء بالطبع.
- ويسكي حار؟
- هذا مناسب في هذا الطقس الجليدي.
- هذا هو كاظم النجار، مسجياً أمامي. عبر النافذة رأيت غراباً أسود على شجرة سرو كبيرة. رؤية الغراب عبر نافذة ثلاجة للموتى جعل المواقف أكثر رهبة.
- ماذا تنتظر؟
- فاجأني صوت الممرضة. قلت، بدهشة:
- أوه.. آسف.. أين مغسلة الموتى؟
- تعال خلفي.
- كانت الجثة ممددة فوق عربة خاصة، مغطاة بغطاء أبيض. في الغرفة رفعت الغطاء.
- يمكنك الذهاب الآن، وشكراً على المساعدة.
- قد تحتاج الى شيء. اضغط على هذا الزر.
- الان نحن وحدنا في هذه الغرفة البيضاء، كالمتاهة. من يغسل من؟ من يودع من؟ وقبل أن اسكب قطرة ماء واحدة، إنهمرت مياه حارة، محبوسة، مالحة، من نبع ما في هذا المكان ذي الجدران البيضاء، والنافذة الصغيرة في أعلى السقف حيث الثلج ينهمر بغزارة.
- تذكرت بدقة عجيبة كيف دخل الدكتور احمد النعمان الي غرفة الموتى في موسكو (مورغ) في خريف عام ٩٠، مع النحات الروسي أناتولي فرويل، لعمل قناع لوجه غائب، والأحاسيس المصاحبة، ورهبة الموت، والشعور اللعين بلامعقولية الحياة وقسوتها.
- سمعت صوت رصاص. سرفات. ماخور. قطط شارع الرشيد. طائرات مغيرة على مبنى وزارة الدفاع. تصفيات واعدامات ومواجهات في الشوارع. السجون: نقرة السلطان في الصحراء، سجن رقم واحد، معسكر الرشيد. المناقي: دمشق، بيروت، النرويج. الثلج. البحر. العزلة. الريح. الموت. الثلاجة. المغسلة. المقبرة.
- كان القبر مفتوحا كهجرة أخرى الى أرض جديدة. وكان التابوت، تحت الثلج المنهمر، والضوء المنعكس من مصابيح الأعمدة القريبية، يبدو كقارب أو كشراع مفتوح للريح والبحر والسفر.
- كان كاظم النجار في حلتة الأخيرة، وعطره الأخير، وحفنة التراب المهربة عبر البريد في عينيه، ينام كنسر في حفرة أو فخ.
- هذا آخر الفخاخ، يا كاظم.
- هذه آخر الرحلات.
- حملنا التابوت الى قعر الحفرة التي ظهرت كهواية لا قاع لها. وركعت فوق القبر المفتوح، مردداً بصوت مسموع:

وداعا كاظم!

كان الثلج يهطل فوق الأشجار، والمقابر، وأعمدة النور، الكنيسة، الماخور، باب المعظم، نقرة السلطان، بيروت، بغداد، شارع الرشيد، وفوق المستنقعات، الجبال، القناطر، محطات القطار، الملاحي، الخنادق، البحر، النافذة، الريح، صخب الأمواج.

السويد

* فصل من رواية (سنوات الحريق)

حسين السلطاني

إبهام الحكمة

"الخطأ مخلوق. النص ارتكاب
وأنا خطأ لمست أدمية الكتابة"

لا تتحطم يا كلام العصفور
فهذا بدنك يطل من نافذة النهاية
والكآبة ملساء... تلك التي قسمت
ريشك.. نعلين نعلين

* *

هنا يقع ظلي.
هنا هتكت سوادى النظيف.
هنا شرحت شبابي لكهل بلا يدين.
هنا رأيت أطفالاً لا يشبهون الرضاعة.
هنا رأيتني أرتاب الأساطير أسعل قرب الكثافة.
هنا فتحت كتاب الطبيعيات وقرأت طالع العناصر.

* *

ما تلفظ به الهواء سأتركه منسياً قرب ظلام الأصابع، لأظل ممسكا كلبة الندم لامساً حيوانيتها.. وقارها.. لامساً كآبات
عبيد عاندين من ظهيرة التهم، أنا الجزء محاطاً بظلام الطبيعة، قرأت أيام الغموض بدفتر وسراج وفسرت شكى بإنسان تعثر
بين الكواكب حتى أتضحت قرب ذاكرة الكلام فراشقتني أيادي الهواء
الميتين الأيادي تستعرض أيادي الميتين [موتى الملاحم]

هذي عصيهم...

هذي دنابكهم...

هذي ريشهم السوداء تقفز في ظلام المعبد.

"هامش" [تجمعوا قرب وباء الشجرة وربوا سعادتهم]

يجرون تأريخ الدقيقة،

يجرون عنقها اللين... وفي أيادهم نجمة لا تكفي لشرح الظلام، ومن كان يجلس قريباً من حياتي لف أسمى بخزف

كوني وفج بخاري بأطلس ودخان، وهذا شقيقي لم يرتب ياقة سعادته، لذلك بنات أوروك لا يبادلنه القبل...

بمعجزة لمستُ الحدس
بمعجزة رأيتُ جلجامش القديم يلهو بآدمية المحارب
بمعجزة سمعتُ الطائر يغوي الريشة لكس البراهين
بمعجزة سكرتُ بكل هذا الهواء ولم أنسَ عزلة الموتى
بمعجزة أنام فوق سرير الغروب لأرضع صورة أمي
بمعجزة لمستُ إيهامك أيتها الحكمة.. لمستُ كمين الأزل
وبك أعرف لم كل هذا الريش ولم أصل لحمامة النسيان..
من أنا - لأنزل من سنام الأزل
من أنا - لأدعي بأن ظنوني بقرات ترعاها أشجار العزلة
عصافير من العصور... مكانس من الغبار... فؤوس مصنوعة من موت الخطابين ولم أعرف بأن هذي الباب تؤدي
الى الورطة.

وان الجداول التي تصب في الغيب تكس شفقة الغرق / يا أمي يا صاحبة المنجل... لماذا علي أن أعيد رسم الوداع
فوق كتف الشهية.. دوننا الأعلى.
بريشة طائر من نسل هيروغلوفي... دوننا. وصل الخرافة دوناه... وقريباً من بهاء المسلة قدمت شهيق مع قرايين
الملك.

رأيتُ طفل الأساطير يشطب بورقة توت وبسمله فاتحة البلبل ويغلق كهف الأغنية. دوننا لغة شاهقة وبكلمات تلبس
نظارة طبية.. رأيتُ العراقة تخبي أطفالها في جيوب المرايا.
متذرعاً بالحرشة المتكئة في قلبه، متذرعاً بالمياه التي تجاسرت على خشب الوداعة.
في النسيان الذي لاذت الفرائس فيه وبقي المطارد ين كرائحة، كان أصبع
طاليس ينجز خطوة الضوء.

"هامش" [الثمرة مصير بلا شجرة]

يا ملكنا الطيني محرم هبوب النعاس من جهة حراسك الليليين لهذا... عاطل ظلامي / مضاءة شرفة عشتار / مضاءة
زقورة الكاهن / يجمع كسر الضوء من غابة النهار / الزنوج شربوا آخر ضحكات الملك حتى صباحهم الزائل من عربات
المستقبل، يا قلب السماء من خشب ريشتي / الريح لا تدون المدن والأمان التي في داخلي للأخريين / لا علاقة للزقورة
بالحكمة والخطاب بأحلام تنغوب قرب طفولة الشجرة / يرمم حياته بنجمة الميزان ويقترف ساحة بلا عويل / يا عزلة المسامير
مدقوقة في عظام الخشب / فيبدأ - أفوريوس - بلمس رائحة الإنسان / الشفقة عبارة رطبة / لا تدلنا أين نجد غيبوبة الأنواع
تحصي نسلها / وهذا فراغي تركته على هيئة سمك لغوي... فراغ توثته أنثويات الكلام / الظن أمثلة أخرى للحدس والخلود
نجمة تتناسل في المياه.

"هامش" [نحن ثمرات ظالة من أفكار البداية]

سعادة العكاز نحاس

سعادة الأعمى نحاس

بهذه الخرافة طلعتنا نجر ريشة الكاهن، طلعتنا نعد يرقات الحديقة، اقتربنا بفانوس، لمسنا بسنبلة، وقرأنا في كتاب
الطبيعات أن السعادات ذوات الثدي المرمرى تمشي بعكاز أيضاً.
لو ثمة معجزة! لعرفت أن الذي يطهى في قدر الخديعة بقايا ظلالنا، لو أن - أن - كي - ليس وردة تذبل في أصص
الأبدية، لو أن الذي بين النجوم كرسي ونجمة.
أي معجزة تقرأ الدلالة؟!

أهي المرأة التي تتعكس في الوردية!

أهي الوردية التي لا تثبت في المعنى!

الطبيعة انحراف الغموض، لهذا لم أر غير أرنبين يعلكان رقبة السجين، وتتناينا يقرأ أسطورتك يا بابل.

بمعجزة أزيل سواد المفتوح لأقرأ بياض المغلق لكننا بلا فكرة لنتم بداهة البداية / بلا تفاحة لنسمي الخطيئة.

"هامش" [الخطيئة تفاحة مقشرة بسكين السعال]

ماذا أفعل بكل هذا الأمل!!

هل أدهن يديه وأدفنه بعيداً في تراب المعنى! لو أرى ما ينبت بين نهودكن يا بنات اوروك لفسرت الضوء الذي يعيد
التناسق وهو يتعثر كثيراً في حجارة الأمل وعلى بابي أسمع خطأ الشعر يحيي أسف الفلاسفة.

"هامش" [الشعر خطأ تكرر أكثر من يقين الفلاسفة]
الأرميل الغامق / الفواجع قاتمة / بتياب خرجت الآلهة ترقص وأنا عارياً أروض اسطورتك يا بابل / مسوراً ببهائك يا زيوس" أنا المعنى قرأت غياب الغيب في لعب الفلاسفة وضربت باللغة الشجرية فيزيكياك يا "ببلمس".
"هامش" [لا أدري لماذا يسرني أن أقول: يداي شجرتان تتاديان على ألم الضفة]
البحر ناقة مالحة والغابة ذات القدم الواحدة شكل لبرهان يطارده الغيب، أيها الطائر الخالد / الغابة التي نسيت صوتها في رثتيك، والأفعى التي بلا دمع لأنها خبأت الوردة قرب متاعب - انكيديو - والبلبل الذي هو ورقة تين نسيها - باخوس - قرب كهف الأغنية.
هؤلاء هم فرسية اللهو وكذلك يدي التي كلما ابتسمت للسماء تفسرها طفل مسن.

الحلة - العراق

عبد الرضا علي

عبد الجبار عباس ناقداً

ولد في مدينة الحلة (بابل) سنة ١٩٤١ ميلادية، وأنهى فيها دراسته الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وصعد إلى بغداد فانتظم دارساً بقسم اللغة العربية من كلية الآداب في جامعة بغداد، وتخرج فيه سنة ١٩٦٤، لكنه لم يحمل أوراقه إلى وزارة التربية طلباً للتعيين في وظيفة مدرس للغة العربية كما فعل زملاؤه، بل انزوى في مدينة الحلة يُمارس هوايته اللذيذة في القراءة، والكتابة، ونظم الشعر، وإن كان في الشعر مقلداً.
كان لا يُطبق مهنة التدريس، بل كان يخافها، وكثيراً ما كان يُعلن عن هلهة منها لمجرد تصورهِ افتراضاً أن حياته ستكون فيها، ولعل سبب ذلك يعود لما في هذه المهنة من التزام، وعناء، وذوبان في الآخرين، وخسارة دائمة.
بدأ ممارسة النقد وهو طالب جامعي، فدل على نباهة في تلقي النص، وموهبة في تحليله والحكم عليه، ونشر أولى دراساته النقدية في مجلات مرموقة لا تنتشر إلا للأسماء اللامعة المعروفة.
كان يزاول النقد في بيت أهله في الحلة، وكان يبعث ما يكتبه من هناك، وبعد حصوله على البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها لم يتغير منهجه، فظل بعيداً عن كل تعيين يعيقه عن ممارسة النقد، والتفرغ له، حتى ظن بعض المطالعين على حاله أن موقفه هذا يشي بشيء من جنون عبقرى.
كان ينشر بين الفينة والأخرى (إلى جانب دراساته النقدية) بعضاً من نصوصه الشعرية في الآداب، وغيرها من المجالات بالأسلوبين: الحر، وشعر الشطرين لكنه خص مجلة (الأسبوع) بقصيدته (نشيد النسر) قائلاً في مقدمتها: (هدية الكبار لثورة اليمن العربية) فنشرتها المجلة في عددها الرابع الصادر في السابع من أيلول ١٩٦٣.
كان موهوباً في النقد، فأسهم في نقد جل الأجناس الأدبية، فنقده للشعر لا يجيء سريعاً، أو مجاملاً، أو تمسحاً باعتاب مبدع أو بأكتافه، إنما كان يجيء بعد دراسة الأثر دراسة مستفيضة، وتأمل في النص داخلياً، ونقده للسرد كذلك لا يجيء إلا بعد تشريح لخطابه، وتقويم لتقنيته، وفحص لآخيلته، وعواطفه، وما يتركه من أثر عند المتلقي. ونقده للدراسات النقدية، والبحوث الجادة (لا سيما الأكاديمية منها التي حصل أصحابها على الشهادات العليا من خلالها) تؤكد على كونه أحياناً أفضل من بعض كتابها، وأقدر على معالجة الظاهرة منهم منهجياً، لذلك حين يُشيدُ ببعضها، أو يدرسها نقدياً مبيناً صواب منهجها، وسلامة منطلقاتها، وصحة نتائجها فإن ذلك مدعاة لفخر أصحابها، وتغنيهم بشهادته، كما يفخر المبدعون بأرائه الجميلة فيهم، فيتغنون بها على طريقتهم، فقد فخر المرحوم الدكتور محسن أطيماش بمقالته الموسومة ب (دير الملاك وجماليات القصيدة العراقية المعاصرة) وظل يتغني بها زمناً، أو كما سعد الروائي العراقي عبد الرحمن مجيد الربيعي بدراسته القيمة للوشم.

حين أنهيت الماجستير في القاهرة وعدت إلى بغداد في يناير ١٩٧٧ التقيتُ في صالة اتحاد الأدباء والكتاب، فسألني عن الدراسة في القاهرة، وكم تكلف؟ والسقف الزمني المحدد، وما إلى ذلك، فرددت عليه، وكررت ذلك على مسمع ومرأى من

بعض الأصدقاء قائلاً: أنت يا عبد الجبار عباس أفضل من كثيرين ممن يحملون الماجستير والدكتوراه، وكتابك الموسوم ب (السياب) أكبر من رسالة دكتوراه، وقد استشهدتُ به كثيراً في رسالتي، أما كتابك الموسوم ب (مرايا على الطريق) فهو رسالتك للمجستير، وحسبك أن الجميع يعرف أهميتك النقدية، لكنه لم يدعني اكمل إذ اغرورقت عيناه بالدموع وترك منضدتها مسرعاً، لكنه عاد بعد نصف ساعة ضاحكاً منتشياً يروي بعض النكات الأدبية (الفقشات).

أصدر عبد الجبار عباس خلال عمره القصير مجموعة من الكتب النقدية المهمة، فضلاً عن ديوان شعر هي كالاتي:

- ١- أشواك الورد الزرقاء (ديوانه) ١٩٧٠ عن مطبعة العربي بالنجف.
- ٢- مرايا على الطريق (دراسات نقدية لما نشره في صحف بغداد وبيروت) ١٩٧٠ ميلادية، سلسلة الكتب الحديثة، بغداد.
- ٣- السياب (دراسة نقدية مدهشة) ١٩٧١ ميلادية، كتاب الجماهير، بغداد، وقد نفذ هذا الكتاب بعد ثلاثة أيام من توزيعه.

٤- في النقد القصصي (دراسات نقدية) ١٩٨٠، دار الرشيد، بغداد.

٥- الحكمة المنغمة (في نقد الشعر والقصة) وهو واحدٌ من دفاتره التي

ضمت مقالاته ودراساته، وقد أعدها للنشر المرحوم عليّ جواد الطاهر، وعائد خصباك، وتم نشر الكتاب بعد وفاته في سنة ١٩٩٤ عن دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد.

قال عنه الدكتور عليّ جواد الطاهر: (إنه فتى النقد الأدبي في العراق، وانه الناقد الذي حاز لقب الناقد بحق، ويكفي أنه وهب نفسه للنقد وحده، لم يشرك به عملاً آخر، ولم يشغل تلك النفس بوظيفة تقيده، فكان بذلك متفرداً بين من زاول النقد في العراق، أو في الوطن العربي، وهكذا يجب أن يكون الأمر، فالنقد الأدبي نشاط قائم بنفسه إذا أشرك به جار الشريك على الشريك).

في نهاية الستينات أبدى أحد الاخوة اللبنانيين عند زيارته بغداد رغبته في التعرف على عبد الجبار عباس الذي كانت مجلات بيروت تنشر له كل تلك الدراسات القيمة، فقبل له: إنه في بابل، وستره في طريقك لزيارة الجنائن المعلقة، وسيرافكك إليه أحد أصدقائه، وفعلاً تمّ اللقاء، لكنّ هذا المبدع ظلّ شاكاً في الأمر، فالذي رآه غير الذي تصوره، إنه فتى صغير هزيل الجسم قصير القامة يبتسم باستمرار كأنه يسخر من المقابل، وما درى هذا الأديب أن عبد الجبار عباس حين أصابته نوبة قلبية ودماغية معاً ظلّ مبتسماً حتى فارق الحياة في مستشفى مرجان في الحلة مساء يوم الخميس ٣ / ١٢ / ١٩٩٢

صنعاء

جلال حسن

موت ماجن

سأموتُ في "باب المعظم" (١)

مثل مدمني خمرة "البعشيقة". (٢)

لا يذكرني أحد

ولا أحد يحضر عزائي

تتولى البلديه

دفن الغريب في مكان ما

لو كانت أمي حيه، لابتكت النسوة المسنات

سيمر كل شيء بهدوء

وتستمر معامل الدبابات الثقيلة في الدول الكبيرة

بهديرها وصفيرها
ومصانع "الانترنت"
تدون احصائيات موت البلدان الفقيرة
ساكون رقماً فردياً في أوراق الموت
الحمد لله أني رقم على شاشات العالم

تمنيتُ قبل موتي أن أطلق أحدى وعشرين صرخة:
الأولى: أستنكاراً لفقري
الثانية: فشلي الذريع في زواج بنت الجيران.
الثالثة: عدم حصولي على أجازة سوق عمومي.
الرابعة: عدم طبع مجموعاتي الشعرية.
الخامسة: معاداتي للنظام الدولي الجديد.
السادسة: فشلي في دروس الجغرافية.
السابعة: لمعاداتي له دون الحصول على نتيجة مقبولة.
الثامنة: كرهى الشديد لفصل الصيف والكهرباء.
التاسعة: لسنوات عمري التي ضاعت في الحروب.
العاشرة: لذريتي التي لم تذكرني بثواب لوجه الله.

بغداد

(١) باب المعظم: منطقة مشهورة في بغداد.
(٢) خمرة البعشيقة: خمرة محلية رخيصة جداً رديئة وتسبب الجنون.

فوزي احمد

كان ما كان

لما توقف محمود واخذ يتنفس بصعوبة، شعر اخيراً انه قد اصبح هراً. انه لن يتمكن من ارتقاب ما كان يتوقعه سابقاً وان جسده لم يعد لديه تلك القوة التي تؤهله كي يعيش ويواجه الصعوبات الكثيرة. بدأ التعب يتسرب الى اوصاله وراح يلمظ شفثيه بلسانه كأنه ظمآن. مرّ عن قرب كلبٌ يلهث فنظر اليه كما لو انه يرى هيكلاً شبحياً لا يعرف قصده. كان الكلب خائفاً، راح يجوب حوله ومحمود يراقبه من طرف عينيه بحذر: "ماذا يريد هذا الحيوان؟! "فكر بامعان وتحرك من موقع جلوسه قرب الشاطئ واجاب بهدوء لنفسه: "جائع مثلي، فلا فرق بين انسان وحيوان" ثم رفع حجراً واراد ان يضربه به لكنه تردد قائلاً: "مسكين.. روح، بابا، انا لا زلت انساناً طيباً".

كان تعباً لا يستطيع استنزاف عواطفه من فرط جهده. اصابه بأس عميق لهذا الواقع وأراد ان يندب نفسه. بدأ الكلب يدور حوله مرة اخرى ثم نكس راسه ومضى مختفياً بين النخيل. اراد محمود ان يترك موقعه ويتجه سائراً بمحاذاة الشاطئ ليشم رائحة (الخيار التعروزي) الذي ينمو طرياً فوق الطمي، والحياة لا تزال في اعطافه. جرّ خطواته على الشاطئ بصعوبة واخذ يحس بان نهايته قد قربت وانه سعيد بان ينتهي ويموت فوق هذه الارض التي شهدت طفولته ورعته وهو صغير. ومن بعيد اخذ يسمع (ناي) واغنية محزنة: "يا دجلة الخير يا ام البساتين.. "واستطرب، ثم راح يصغي بكل هدوء، وفي الافق البعيد تناعت ملامح كئيبة اثناء ما كان يراقب امواج دجلة الهادئة عن كئيب ونسائم النهر تهب ناعمة رطبة.

ولم تمض لحظات حتى اصابه إعياء مبالغت فجلس فوق الرمل ليستريح قليلا وهو يهف اذبال دشداشته. تتاعت لسمعه عن قرب خشخشة من بين سيقان وجذور الخيار. رمى بنظراته تجاه نباتات الشاطئ، مصغياً بترقب فظهرت له عينان سوداوان ترقبانه بنوع من التحفظ. ابتسم قليلاً:
- جرد.. جرد تعبان.

- عندما ابتعد الحيوان الصغير مختفياً بين الاحراش قال له مودعاً: "الله يخليك لأطفالك!" ثم شعر بنوع من الأطمئنان رغم انه كان على حافة الهاوية. تذكر ايام سنيته السابقة التي اشتغل بها بمثابرة وجد ومن دون تردد من اجل ان يوفر لابنائيه عيشة لا بأس بها، فاين ولى الدهر بهم الآن؟ انه لا يريد، بل يريد ان يتذكر ولكن بصمت وقلبه قد أدمي لذكراهم مراراً. يخشى ان يواكب الاحداث التي ادت الى اختفائهم فالخوف لا يزال يسيطر عليه والحزن يهز اوصاله. لقد كانوا هنا، يوماً، وفي الازقة والبيت، لكن الزمن تدهور ولم يبق لديه سوي التذكر. يريد ولا يريد ان يتذكر اصواتهم وعيونهم، بعد ان اختفوا فجأة، تبعث البعض منهم فوق الأرض بلا مستقبل او مصير مجهول. بدأت عيناه تدمعان بهدوء وبرك قرب الماء عند الضفة وراح يتابع جريان نهر دجلة وقد نصب مأوها واخذ شريانها يسيل ببطء فقال وكأنه يغني حزينا اسفاً: "نصب مأوك يا دجلة.. صوت عجوز.. متى يجيء المطر وطوفانك.. طوفانك يجيء ولا فراق".

ثم نهض ومضى مودعاً النهر في طريقه الى بيته. مضى في طريقه مخدور الحس، يجر ساقين اصابهما التعب والهزال. كان دربه خالياً، يمشي ويقف فيه احيانا. وعند منعطف الطريق تصدى له فجأة شابان وبيديهما اسلحة نارية:
- قف.. من انت.. وهويتك؟

وقف بغتة. وكأنه امام طود شامخ، وقد اصابه الخوف والرهبية او حيا اليه ان يهرب، لكنه سرعان ما انتابه ضعف واشمئزاز. اراد ان يتقياً لولا ان تمالك نفسه بصعوبة ليجيب:
- انا. انا من هنا.

- قل.. اسمك.. هويتك

- انا محمود.. من هنا.. راس "الدربونه"

- اتركه هذا شايب

- محمود ابن من.. ما اللقب؟

اراد ان يذكر لقبه ويجيب الا انه احس بضعف وجفاف في الحلق.

ود ان يجلس بدون ارادة منه:

- انت من بيت العيسمي؟

- أي نعم

- العفو يا سيد محمود.. انت من سادة المحلة وعشيرة بني عيسم هي رمز العروبة.

- أي نعم

انتخت خياشيمه قليلا واحس بالرطوبة، ثم مضى في طريقه وهو يشعر هذه المرة برجفة سعف النخيل وكيف انه قد شاخ واصبح مسلوب الارادة.

لما وصل بيته رمى نفسه فوق الحصير. اغمض عينيه ليستريح قليلا. فسارعت زوجته تهزه وتقول:

- ما بك؟ اين كنت؟ ماذا جرى؟

- لا تخافين.. لا زلت اعيش.

- فتشوك؟!

- أي.. من ربعم.

جلست جنبه وراحت تلاحظ تجاعيد وجهه وكيف ان بشرته وجبهته قد اضمحلتا، في المدة الأخيرة، اكتستنا طبيعة مومائية.

- يقولون الحصار راح يرفعونه، وان شاء الله يتوفر الدواء ونعالج مرضك.

ابتسم بهدوء وهو يقول:

- بعد التي واللتي.. بعد سودانهم واليمن.

- اتريد قليلا من الأكل؟

- اريد شوربة دجاج لو حامض شلغم.

- لا، ثريد وقليل من الباقلاء.

اجابت زوجته بألم ويأس مستطردة:

- الوكالة لم توزع ب "الاروزدى".

وتمنت لو تستجدي من الجيران بعض الخضروات وشيئاً من السمنة الا ان الناس بدأوا يتحصنون في بيوتهم، يستقلون عن بعد، وهم يحاولون الانفراد.

- كل واحد يحود النار لقرصته. بالبلد جوع ومذلة. ما فيه رحمه او تضامن.

- لم لا؟ (ابو جواد) عضيدك، يزورك كل يوم ويجلب معه ذخيرة بسيطة، قوت الذي لا يموت.

- (ابو جواد) عضيد والنعم.

احسّ بلطافتها ورقتهها فساومته رغبات ربيعية سرعان ما زالت وحلت

مكانها وشائج كآبة. انه ضعيف، مخذول القوة والارادة. ثم تذكر ان (ابو جواد) سيأتي قريباً ويأخذ مجلسه امامه، يشربان الشاي ويطمئننه محاولاً ان يوقظ امله بالشفاء، وفي بعض الاحيان تنحدر فوق خديه دمعان او اكثر، فينظر الى محمود ليريه انه يأسى عليه بل يبكي.

لقد اصبح البكاء عندنا امرأ معتاداً. فكر محمود وهو يمسح شعر رأسه الاشيب بيديه. اكثر الناس مصابون بداء العزاء. بعد حيرة استسلم الى شبه نومه رقيقة. انتهت بمجئ (ابو جواد) اليه، جلس الاخير امامه واخذ يتساءل عن احواله وصحته. وبعد قليل، وعندما استراح قربه، بدأ يتلو عليه عتابه شعرياً بتعبير تمثيلي، كما لو انه يغني موشحات اندلسية، فقاطعه محمود بصورة مفاجئة، متسائلاً؟

- اين صار ابو فلان؟!

وبدون ان يستفسر عما يقصد اجاب (ابو جواد):

- صار بالربع الخالي.

- ها، كيف؟! الم يجد مكانا آخر؟!

- والله بالربع الخالي هو مرتاح.

راحا يتكلمان بهمس والغاز كي لا تفهم معناها حتى "الحيطان". فكر في نفسه وهو يهز راسه مستغرباً: "جواد ابو

راسين هاجر للصحراء" ثم اردف بصوت مسموع:

- اهذا زمان!! تصوير الهزيمة فيه للربع الخالي.

- على الاقل فيه حرية وقليل من الماء.

رفع (ابو جواد) عينيه هذه المرة من دون ان تدمعا واستمر بعنابة قصيرة، قال بعدها:

- والآخر صار راعي غنم

- لا، كيف؟! الم يكن هذا حقوقياً؟

- هل يوجد بهذه الدنيا حق وحقوق.. الدنيا صارت قيمتها بلحم الغنم، حتى السادة والحرامية صاروا يحترمانه.

- بها البركة.

كانت في باحة البيت عدة عسافير راحت تتسابق لالتقاط كسبرات من خبز اسمر يابس. تذكر النمل الذي كان يغزو ارض الدار سابقاً فقال في نفسه: "حتى النمل هجر هذه الديار" فكر مخذولاً.. كيف ان القيم الانسانية قد تبدلت وراح يحسّ بالذل. مضت ايام وسنين وهو لم يفكر يوماً بترك هذه الارض، فهل كانت حياته، اذن، بدون مبرر او من دون قيمة تذكر. كان ينهب الخطى كل اليوم الى دائرته. يكتب بعض الصفحات ثم ينجز توافيق ويملاً استمارات ويحول ملفات الى دوائر اخرى، ثم يناقش ويتحدث مع الملاحظين، الموظفين المتدربين على اهمية وصحة ما يقومون به من اعمال كتابية. قال في نفسه: "بلاش".. كلها كانت (بلاش) "راحت بولا في شط". اين ذهبت نتائج كل تلك "الدراسات العليا" التي كان يراها عنصراً من عناصر التمدن والترقي في هذا المجتمع، تمشية الأمور الاقتصادية والحكومية.. تعيين المراكز العائلية وتطوير العلاقات بين الاسر العربية، استقطاب ثم تحديد الاسر العربية الأصيلة وشبه الأصيلة، أي "المخبوطة" من العناصر الأجنبية أي ما كان يطلق عليه ب "التبعية". اين ذهبت، بعد هذا، اهمية قيادة وتولية المنجزات البلدية والمدنية. فهل انجز عملاً مهماً، عملاً انسانياً او ايجابياً. فكر، ملياً، بعد ان وصل الى هذه المرحلة من العمر والبأس، وليس بمقدوره كما يقولون: "ان يقتل حوصه".

انتابه اسف ومرارة حينما تذكر كيف ظلم (ابو جواد) في نقاش حاد بيوم من الايام ووصفه بانه عنصر "مخبوط" ليس اصيل النسب، رد عليه (ابو جواد) حزينا حينها: "الحر تكفيه الاشارة".

الآن، هو جالس امامه، في هذه اللحظات العسيرة، يواسيه ولم يفرط يوماً في ثقته وولائه له. قال محمود، فجأة، وبنوع من الألم وبعاطفية:

- كنا رغم كل شيء اصدقاء يا (ابو جواد).

- ونحن اليوم، ايضاً، وراح نبقى اصدقاء حتى بعد الموت.

بدأ (ابو جواد) يئن بعنابة اخرى مثل ضبع جريح. ساد البيت وجوم وابتهاال، كأنما اراد ان يمزج بانفاسه نوعاً من النحيب الهادئ او الصراخ لينفس عن كربة، فقال:
- هذه هي الدنيا. دنيا لا تنتهي.

ابتسم محمود قائلاً:

- كل شيء له نهاية، لما يجيء الاجل ويدق الباب. الموت يأتي على غفلة.
رفع نفسه عن موضعه قليلاً. احس بالآلام تعصر خاصرتيه وتبعثر جسده فقد غدت تلك الاوجاع جزءاً منه تنهك وجوده ككتلة عواصف. انه سينتهي، وحيداً، في لحظة ما، رغم كل شيء، سيتلاشى كل حلم في حياته وتتوقف ضربات قلبه العيسمي. وبينما هو يغور في دوامة نفسية سمع من بعيد صدى خطى هاربة فوق الزقاق. اصوات صباح ووعيد وصرخات رهيبه تتردد في الحارة:
- قف.. او ننسفك بالرصاص. اضربه بطلقة.. طلقات.

نهضت زوجة محمود واسرعت باغلاق الشباك، ثم اسدلت فوق آذانها طرفاً من "الفوطة" كمن تريد ان لا تسمع شيئاً، في حين اغمض هو عينيه وراح يشعر باوصاله تهتز عنيفاً وكأن الخوف يتسرب داخل جلده.

انبسطت، اخيراً، راحة يده المرتجفة على وجهه المعروق تحاول ان تهدي اساريره تتمم (ابو جواد) بهدوء:

- الدنيا ما بها وقفة.

- صارت "طربكة".

- الدنيا هروب.

فكر مليا وشعر بنوع من الاطمئنان كون اولاده صاروا بعيدين عن هذه البيئة. تردد الصوت من خارج البيت، ثانية:

- عدم تجول.. اوامر الرئيس.

- طالع ابحت، لاشترى خبزاً وعيشاً للعيال.

- هذه حجة. هويتك؟

- ما عندي.

- خذوه معكم.

وسرعان ما اختفت الخطوات وساد هدوء رهيب:

- الدنيا تدور مثل القمر مرة مضئية ومرة ظلام.

قال محمود وهو ينظر الى زوجته والى (ابو جواد) ثم اردف

- عندنا شوية شوربة.

- ما عندنا مؤنة الشوربة. اجيء لك بشوية خيار وخبز

اجابته زوجته بالم. احسّ هو ثانية بوحدة لا مفر منها. قال بحزن:

- اليس ظلاماً ان يموت الواحد جائعاً؟

رد (ابو جواد) باستفزاز رقيق:

- صار عندك مرض الكآبة.

- وحرمننا عليكم الكآبة واكل اللحوم.

- رفه عن نفسك.

- الله يطول اعماراً ويفني اعماراً.

لم يتمكن محمود من ان يسيطر على نفسيته ويهدئ اعصابه. بدأت الآلام

تتفجر في جسده حادة والارض تدور حوله بقساوة. هل اصبحت حياته مرهونة بهذه الايام القليلة. وما اهمية ومعنى هذه الايام.

انها لا تختلف عن انتحار بطيء راح القدر يسوقه اليه شيئاً فشيئاً. قام من مكانه بصعوبة، فسأله (ابو جواد):

- الى اين؟ اين تريد تروح؟

- على السطح.

سانده ابو جواد بذراعيه. اخذ يساعده بالمشي وبتخطي الدرجات قائلاً له:

- بها الخير.. ما شاء الله. بعدك قوي.

ومن بعيد كانت تتنادى لسمعهم صدى طلقات وخطوات هاربة:

- اين الله لينهى الحصار. كي يعيش الناس ولا يقتل الواحد الآخر.

- أبقيت، هي، على الحصار. يا ليت لو رفع الحصار، ويا ليت لا يقتصر على أكياس وجيوب السادة وحدها تمتلئ.
ثم وصلت اليهما رائحة زهر (القдах) فأخذ يستنشقا محمود بعمق مع رائحة اوراق الكالبيتوس التي كانت اغصانها تغطي مقدمة البيت:

- هذه الليلة قمرية يا (ابو جواد).

- قمر فضي.

ومع موجات النسيم راحت تصل اليهم مناجاة مؤذن وهو ينوح: "الهي، بحقك، شافي كل مريض، ارحم كل مسكين يا الله". غابت نظراتهم في الافق البعيد، فوق سطح الدار، وبدأت الاحلام تسري باعماقهما خالقة لديهما نوعاً من الحذر وكأنهما وقفوا تحت تأثير اغماء متواصل. لم يهدل الليل سدوله بعد، ولكن النجوم بدأت ترسل وميضها وتسبل على السماء الرمادية صورة ارتياح وسكينة.

- (ابو جواد) هذا ليس هدوءاً.

- ما العمل. المخلوقات خائفة.

ثم جاء صدى اصوات رفرقة طيور راحلة في الافق البعيد وهديل حمامة كأنها كأنها تشكو الضياع.
- هذه بومة.

- لا هي حمامة.

ارتاح محمود لأنه لم يسمع صوت بومة وانما هديل حمامة تسعي الى الرقود في عشاها على غصن ما. ثم قال في نفسه: "سارقد انا ايضاً بعد هذا الضياع، وساستريح قليلاً".

راحت عيونهم تتطلع للنجوم المبعثرة وهما يشعران بعذوبة نسيمات ربيعية.

المانيا

عبد الله نيازي

يوميات السيد علي

ربما هناك قلة من القراء ما زالوا يذكرون الدكتور عدنان رؤوف، قاصاً وروائياً، فعلى الرغم من انه اصدر ثلاث مجاميع قصصية هي: "الشخصى الثاني" في عام ١٩٦١ و " الحدث الثاني " في عام ١٩٧٦ و "افكار الرجل الطويل" في عام ١٩٧٩ ورواية واحدة هي "يوميات السيد علي" وبالرغم من انها ذات مضامين تجذب الانتباه، وتقنية جيدة الا ان احداً من نقادنا الافاضل لم يذكر الدكتور عدنان رؤوف بخير او شر الا في القليل النادر. وربما عن طريق السهو.. فاننا لا اذكر ان هناك دراسة جادة كتبت عن اقايصه مع ان فيها ما يستحق الكتابة وامعان النظر، خاصة مجموعة "افكار الرجل الطويل" ولا اذكر كذلك ان هناك موضوعاً مهماً كتب عن روايته "يوميات السيد علي" على الرغم من انها تعالج موضوعاً حساساً وحيويًا بالنسبة لنا نحن الشرقيين جميعاً.

بل انني لم اجدتها تدرج ضمن الروايات العراقية التي يشير اليها النقاد بين الحين والآخر. والسبب في هذا الاهمال والتعتيم المتعمد يعود، كما يبدو، الى هذا الداء المتأصل في الكثير ممن يمارسون النقد عندنا، والذي يشار اليه بين الحين والآخر كواحد من اخطر امراضنا الأدبية قديماً ورسوخاً.. ويتحد مع هذا الاتفاق غير المقدس عدد ممن يمارسون كتابة النقاد الأدبية. بغض النظر عن اية قصة او رواية اذا كان الكاتب لا ينتمي الى العصابة التي ينتمون اليها او من نبع لا يتفق مع امزجتهم المتلونة. والعكس صحيح جداً في اقامة الصخب والضجيج لأعمال متواضعة وحتى هابطة اذا كان الكاتب من الاحبة ويدين بذات المذهب الذي يدينون به ولا ازمع هنا اني سأنتصف للدكتور عدنان رؤوف وانتزع له حقه من افواه نقادنا المنحازين، فذلك امر لا احسب ان شخصاً واحداً يمكن ان ينهض به، خاصة اذا كان هذا الشخص يواجه شلة متمرسه في النفاق. وكل ما سأحاوله هو ان اعيد قواءة "يوميات السيد علي" وادون عنها ما يوجب المناقشة سلباً كان ذلك ام ايجاباً.

تدور فكرة الرواية عن هذا الصراع الذي ينشأ عادة بين حضارتين متباينتين ومختلفتين في كل شيء. هما الحضارة الغربية والحضارة الشرقية. ويتجسد هذا الصراع جلياً في حوادث الزواج التي تنشأ بين الجنسين من الحضارتين كلتيهما. فالشرقي يحمل معه موروثه البيئي الجامد والغربية تشعر انها ارقى مستوى واكثر ثقافة من ابناء الشعوب الأخرى. وخاصة

من الأسيويين والأفارقة باعتبارهم من الملونين.. والسيد علي واحد من هؤلاء الشباب الشرقيين الذين يسافرون الى اوربا من اجل الدراسة ويبقى هناك اكثر من عشر سنوات يتزوج خلالها من فتاة اوربية وتتجب منه طفلاً ثم تبدأ بينهما الخلافات الحادة، والتي ينسب السيد علي سعيد معظمها الى هذا التعالي الذي يشعر به الفرد الاوربي نحو الشرقي المتخلف، والذي تعزوه زوجته الاوربية الى المغالاة في الغيرة والأمعان في الشك للذين يسيطران على الرجل الشرقي بصورة عامة. وينتهي الخلاف بينهما الى الانفصال التام واحتفاظ الزوجة بولدها الوحيد.. فموضوع الرواية، كما نرى، من الموضوعات المهمة وتثير الكثير من النقاش والجدل.. وربما يكون الدكتور عدنان رؤوف واحداً من القلة التي استفادت من التجارب الكثيرة التي واجهتها اثناء وجودها في الغرب، ومن ثم استثمارها جيداً في تحويلها الى اعمال ادبية وبمستوى فني جيد.

ولكن، من هو السيد علي سعيد هذا! وما هي الاسباب التي دعت الى ترك وطنه والسفر الى اوربا! وهل هو محق في الاتهامات التي وجهها الى الفرد الاوربي باعتباره عنصرياً، ام انها لا تخلو من مغالاة يحاول بها تبرير مواقفه القاسية تجاه زوجته؟!.

من خلال تتبعنا لحياة السيد علي سعيد والبيئة التي نشأ فيها نجد انه شب وترعرع ضمن اسرة تتألف من عشرة اشخاص، وفي بيت صغير وزقاق ضيق.. مات ابوه وهو في العاشرة من عمره. وكان قاسياً مع امه اذ كثيراً ما كان يلاسنها ويضربها حتى اثناء تناول الطعام. وقد حاول السيد علي مرة الانتقام لأمه فضرب اباه بحجر في بطنه وهرب الى السطوح الطينية المجاورة. وقد انتقلت قسوة الأب الى الأم بحكم العادة او الانتقام من الأشخاص الذين هم اضعف منا. فقد كانت تقذف الأشياء على اولادها كيفما اتفق ودون تفكير بالعواقب، ذلك انها ضربته مرة بسكين طويلة دخلت في باطن قدمه اليمنى واخرجوها عنوة. كما ان معلم المدرسة التي يتعلم فيها كسر العصا على رأسه ربما لسبب تافه، فتولدت لديه حالة من الرعب والخوف، سواء من عالمه الداخلي أو الخارجي.

فكان يذهب في سنوات مراهقته الى المقبرة وهناك يختار قبراً يناسب جسده الصغير لكي يتمدد فيه ويقرأ الأيات بصوت دافئ حزين. ويبدو ان لهذا الحادث اثراً كبيراً في نفسية السيد علي. فقد ذكره المؤلف كذلك في مجموعته " افكار الرجل الطويل " فماضيه اذاً كما يقول هو عنه " ملئ بالدموع والآلام وينشر في مخه وخلاياه العصبية ندباً ودمامل سوداء ويفسد قيمها العفن حياته برمتها."

ومع ذلك فقد استطاع ان يكون له رأياً مستقلاً تجاه الصراعات الفكرية والمذهبية التي كانت تحتدم آنذاك في العراق، ولم يكن منحازاً الى اية جهة سواء كانت تنتمي الى اليمين او الى اليسار على خلاف اخيه الصغير الذي كان يسارياً متطرفاً، واخته التي كانت تتحمس الى بناء وطن اشتركي ديمقراطي. وعندما قامت ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ كان هو طالباً في احدى الكليات. وقد حاول اليساريون من زملائه في الكلية جره الى صفوفهم ولكن دون جدوى. ثم طلبوا منه ان يوقع على بيان يدين المتأمرين على الثورة على حد زعمهم ولكنه حين رفض وذكرهم بموقفه المستقل ضربوه واسالوا الدم من انفه. وعندما قرر الهجرة دون عودة. وسافر الى اوربا " حاملاً على كتفيه العريضتين ارتثاً كبيراً من تلك الندوب السود المنتشرة كسرطان الدم في دماغه الصغير "

فكما ترى ان سفر السيد علي سعيد الى اوربا كان اضطرارياً، ولم يكن في وضع نفسي مستقر ولا في حالة ذهنية هادئة. وان الأحداث التي مر بها كانت على جانب كبير من القسوة وقد ولدت لديه عقداً نفسية ذات طابع اسود حاول ان يجد لها متنفساً في اوربا، ولكنه باء بهزيمة اخرى، فقرر الدخول الى الدير كنوع من التطهر ولكي يحول تجربته فيه الى عمل ادبي اخر ويكتب " افكار الرجل الطويل."

ولكن، ما هو المحور الأساسي الذي تدور فيه احداث الرواية اثناء وجوده في اوربا ولأكثر من عشر سنوات. ونرى قبل أن نتناول هذه الناحية بشيء من التفصيل ان نذكر شيئاً من تصرفات السيد علي سعيد في بداية وجوده في اوربا عليها تعيننا على تفهم شخصيته بعض الشيء. وبالرغم من انه حين غادر العراق كان مرهقاً ومتعباً ويعاني من تناقضات ذهنية ونفسية، الا انه استطاع بذكائه وقابلياته الكبيرة ان يسبر غور المجتمع الأوربي ثم راح يعامله كما لو انه يريد الانتقام منه. وهو في البداية لم يكن يحسن معاملة من يتعرف عليهم من الفتيات.. كان (جاهلاً بخفايا هذا العالم واسراره. فقد جعل فتاة تهرب منه في منتصف الليل ووسط عاصفة ثلجية حيث شعرت انه يهينها بتصرفاته وكلماته التهكمية، وقالت له وهي تغادر الشقة غاضبة: "هل تحتقرون نساءكم دائماً بهذا الشكل الغريب". (فقد كان يحسب وفق تصوره الشرقي ان الفتاة التي تجيء معه الى الشقة بمفردها لا بد وان تكون من فتيات الرصيف. وان معاملته لهن ينبغي ان تكون وفق هذا التصور.. ولكنه سرعان ما ادرك خطأ ذلك. وان الحب في اوربا ليس كما كان يتوهم وانما هو نقي وحر ولا يحتاج الى بطاقة شخصية او جواز سفر) وبمرور الزمن اصبح متمرساً في اصطيات الفتيات وبارعاً في اجتذابهن الى جانبه بعد حديث قصير يعتمد ان يكون مشوقاً حتى وان كانت جالسة مع صديق لها.. اما تعرفه على "مايا" التي اصبح زوجها فيما بعد وام طفله، فيبدو قلقاً بعض الشيء. فهو يذكر في اكثر من موضوع انه عاشها اكثر من عشر سنوات وانها حملت منه منذ بداية تعارفهما.

أي ان ابنه عند انفصالها يكون قد تجاوز التاسعة من عمره، الا انه يذكر في أكثر من موضع أيضاً انه في حدود الثالثة من عمره، وليس هذا هو التناقض الوحيد الذي يقع فيه المؤلف وانما هناك تناقضات اخرى يبدو انه يعتمد ايرادها، اما ليبرر تصرفاً شائناً يقع فيه السيد علي سعيد اوليلصق تصرفاً غير مقبول بزوجته.

وحيث ان زواجه من "مايا" وانفصالها عنه بعد عشر سنوات قضياها في حياة زوجية غير مستقرة وحرصها على الاحتفاظ بالولد عن طريق القضاء، وما يحدث لهما من معاناة خلال فترة الانفصال يعتبر من الاحداث العادية ولا يثير الانتباه لكثرة وقوعه وشيوعه سواء في الشرق او في الغرب، الا ان المؤلف حاول ان يجعل من هذا الانفصال ومن مقاضاتها له امام المحاكم بشأن الطفل مشكلة عنصرية يكون هو ضحيتها. بل ويجعل من هذه المشكلة المحور الأساسي الذي تدور فيه احداث الرواية، فهو لذلك يعزو تصرفات الزوجة وانفصالها عن السيد علي سعيد بسبب شعورها بالتفوق الحضاري وليس بسبب سلوكه القاسي معها. ولم يقتصر اتهامها لها بالتمييز العنصري عليها فقط وانما راح يتهم البلد الذي درس وعاش فيه أكثر من عشر سنوات، على انه بلد قائم على هذا التمييز. وان اغلب رجاله ونسائه يقفون ضده باطلاً لا لشيء الا لأنه من الملونين، وهو لذلك يقول "انه لأثم كبير لا يغتفر ان يقترن رجل شرقي بامرأة غربية" ومن الدلائل التي يوردها والتي تؤيد كونهم يعاملونه كما لو انه من الملونين هي انهم بدأوا يطاردونه منذ بداية دخوله مدينتهم. ولكنه لم يذكر حادثة واحدة تؤيد مثل هذه المطاردة.

وارجو الا يفهم من قلبي هذا انني انفي عن الغرب مثل هذه التهمة، وقد يحس بها اغلب الذين يسافرون اليه من الشرقيين. الا ان السيد علي سعيد او المؤلف لم يذكر ما يؤدي مثل هذا الاتهام، وانما العكس هو الصحيح. فقد جعلوه يدرس في جامعاتهم، ويحرضونه على معايشة فتياتهم بل ويزوجونه واحدة منهم.

وليس ذلك فقط وانما كان هناك من يقف الى جانبه بعد انفصال زوجته عنه كاستاذ "سال" الذي اعطاه كتاباً الى المحكمة التي تنظر في حضانة الطفل يؤدي فيه كونه من الشباب الجيدين. وكذلك المحامي الذي ذهب اليه لكي يوكله للدفاع عنه. وغيرهما من الأشخاص، وخاصة الفتيات اللواتي كن يفضلن على ابناء قومهن. فليس هناك اذاً ما يؤيد انهم كانوا يعاملونه كواحد من الملونين، باستثناء والد زوجته الذي عارض زواجهما منذ البداية ورفض "ان تتزوج ابنته من رجل غير اوربي". واذا نحن دققنا بتجرد في الأدلة التي اوردها عن التمييز العنصري، نجد انها نابعة في الغالب من احساسه هو في انه ادنى مرتبة من زوجته الأوروبية. ولا شيء أكثر من ذلك.. فهو يشعر مثلاً ان زوجته تقف فوقه في سلم السلالات البشرية، وانها تعتبره سلعة شرقية قديمة تعاني الكثير من العيوب، وانها جعلته يشعر انه انسان من الدرجة الثانية او الثالثة.. في حين ان ما اورده عنها يناقض مثل هذه الاحاسيس تناقضاً تاماً.. فهو يقول عنها مثلاً انها "لم تر فيه قدوتها ولم تفتخر به امام صديقاتها ومعارفها" ولكنه يعود بعد صفحات ويعترف ان زوجته كانت في نزاع مرير مع رجال المدينة ونسائها من اجله، تدافع عنه اذا ارادوا النيل منه، فهي اذا كانت تفخر به وتجد فيه قدوتها، وليس كما يزعم هو ذلك؟ بل انها فعلت من اجله الكثير وضحت من اجله بالكثير لكي تحتفظ به وبالولد المشترك بينهما. ولكن دون جدوى... فقد "قطعت علاقتها بوالديها وبمعارفها واصدقائها لكي تكون له وحده" لأنها احبته كرجل وكانسان، حمته من الأمراض، واعادت بناء عقله من جديد، وتعلم منها كيف يلبس وكيف يتحدث وكيف يكون لطيفاً مع الآخرين. فماذا يريد الرجل أكثر من هذا؟

لا شيء الا ان ينعم بجو هادئ. وقد امضيا فعلاً اوقاتاً سعيدة ومبهجة ربما في حدود السنتين ثم انقلب كل شيء الى جحيم.. عاش هو في جحيم من الشك القاتل وعاشت هي في جحيم من غيرته التي يعتبرها من الغرائز الطبيعية.. ويبدو ان بداية شكوكه فيها تولدت بعد تخرجها وتعيينها ممرضة في دار للعجزة والمسنين والتزامها بالخفارات الليلية. فقد بدأ يشك في سلوكها الى حد الاختناق خاصة وانها كانت قد حدثته بعد اسابيع من زواجهما من انها كانت على صلة بشابين احدهما يهودي! فراح يمنعها من الخروج ويوجه اليها الإهانات والاتهامات الباطلة، بل ويمزق ثيابها الجديدة ويضربها. وحين ينتهي الأمر الى تهديدها بالقتل ولعدة مرات، تترك البيت دون رجعة. خاصة وان هناك شائعات كانت تدور عن الأجانب الشرقيين الذين يقتلون زوجاتهم الأوربيات.

وعندها تبدأ تداعيات السيد علي تتوالي ليجعل منها رواية تضاف الى الروايات الجيدة التي صدرت في العراق خلال السنوات العشر الأخيرة.

السويد

خشية الالتباس نذكر أن كاتب الرواية هو ليس المرحوم / عدنان رؤوف الذي نوّهنا عنه في العديدين الماضيين. ورغم ان المجلة لم تعدت على الكتابة عن كتب عربية، الا أننا اعتباراً من هذه المقالة، نبدأ هذا الباب لصعوبة الحصول على هذه الرواية من قبل المغتربين، وثانياً لأن ناقدها هو نفسه من بناء القصة القصيرة بالعراق.

محمد حسين الأعرجي

فَطُورٌ مَغْرِبِيٌّ^{٢٨}

(الى أشباح المدن في المغرب العربي ساعة الإفطار في شهر رمضان)

ثُمَّ نَادَى الْأَذَانَ: حَيَّ عَلَى الْأَكْلِ،
فَكَانَتْ مَدِينَةُ الْأَشْبَاحِ
أَفْـقُ كَالْحَجِّ كَأَنَّ نَهَائِيَّاتِ
مَدَائِهِ مَدَائِنٌ مِنْ نَبَاحِ
إِرْمٍ هَاهُنَا وَلَا (عَادَ) فِيهَا
أَمْ سَدُومٌ وَمَالِهَا مِنْ جُنَاحِ؟
شَجَرٌ خَائِفٌ قَدْ آلَتْفَ بِالصَّمْتِ
عَلَى نَسْفِهِ مَهِيضَ الْجِنَاحِ
وَدُرُوبٌ يَخْفَى حَتَّى مِنَ الضَّوِّ
فَأَضْوَأُهَا كَقِيحِ الْجِرَاحِ
وَحَشَّةٌ تَفْزَعُ الْمَقَابِرُ مِنْهَا
فَتُظَنُّ الْأَمْوَاتُ أَنْضَاءَ رَاحِ
أَيُّ صَمْتٍ هَذَا؟ كَأَنَّ طَيِّبُورًا
مِنْ رَمَادِ حَمَلَتِهِ بِجِنَاحِ
ثُمَّ ذَرِينِيهِ فَا لِمَ يَبِيقُ نَبْضٌ
لَمْ تَلَامِسْهُ مُتْرِبَاتِ الرِّيَّاحِ
يَا لِهَذَا الْغُرُوبِ، هَلْ قَرَبَ اللَّهُ
مَعَادَ النَّشُورِ فِي الْأَبْوَاحِ؟
أَمْ تُرَى أَنْ قَصْعَةً مِنْ حَسَاءِ
بَعْدَ جُوعٍ، وَنُغْبَةً مِنْ قَرَّاحِ
تَشْرَبَانِ الْمَدِينَةَ الْآنَ، وَالنَّاسِ،
وَهَمْسِ الْغُصُونِ فِي الْأَدْوَاحِ؟
يَا لِقُرْصِ الرَّغِيْفِ كَمْ دَارَتْ الْأَ
رُضُ، وَلَمْ تَخْتَلَفْ مَعَانِي الصَّبَاحِ؟

بولندا

كتبت بالجزائر ٢٢ - ٤ - ١٩٨٨.

قطعة بلا شعر

ألقاني القطار في بلدة صغيرة، تدعى هر يونكة كان علي أن أنتظر فيها لأكثر من ساعة لكي أخذ قطاراً آخر إلي وجهتي.. وجدت الانتظار في محطتها الصغيرة مضجراً، فقررت أن أتجول في البلدة، قاطعا الوقت ريثما يقترب موعد القطار، وقد شجعني على ذلك أنني وجدت البلدة مضيئة، وغير باردة، رغم أنها في الشهر الثاني من الخريف، والجو بالسويد في هكذا أيام بارد عادة. كانت أشجار الطريق، وحدائق البيوت، تطل متراقصة بأوراقها الملونة والمائلة للصفرة والحمرة وكأنها تلوح للقادمين بالدخول. انحدرت في ما بدا لي أنه الشارع الرئيسي لهذه البلدة، تلكأت عند باب مقبرة تتوسطها كنيسة، لكنني خفت الخطي، وأنا ارمق القبور الرطبة الهاجعة بسلام ودعة تحفها زهور ذابلة مصوحة، وأخرى اصطناعية، وتومض من جانبيها شموع مشتعلة في أنية صغيرة. اجتزت محلا للأحذية وصارت قبالي لافئة مكتوب عليها (تفضل بالدخول)، وتحتها شمعة تشتعل كإحدى تلك التي رأيتها تحف بالقبور، خطر لي أن أعرف، على ماذا تدعو هذه اللافتة بين حدائق وممرات هذه البيوت الفخمة والتي تقف عند أبوابها سيارات حديثة وبمراكات شهيرة وتظلله عتمة وغموض وكأنها قصور مسحورة. انعطفت داخلا من البوابة الضخمة المقوسة، سرت تحت شجرة تفاح كبيرة، ما تزال أغصانها ذات اللحاء الرمادي المفتت متقلبة بالثمر وقد تساقط قسم منه وغطى الممر، كان منخورا وميقعا بالأسود، وكان الشجرة مريضة، وجدت الممرات تأخذني باتجاهات متقاطعة فهممت بالرجوع، وأنا لا أريد أن أنسى موعد القطار، لكنني رأيت فجأة امرأة حسناء واقفة في حجرة مضيئة، وتلوح لي من وراء الشباك، وتدعوني للدخول. رأيت بجانب الشباك بابا أزرق، وقد اندفعت المرأة تفتحه لي محييه بحرارة وكأنها تعرفني وتنتظرنني منذ سنوات، حتى أنني خشيت أن ألقى نفسي بأحضانها. وقد نطقت باسمها (ألينور) بلهجة كأنها عاتبة وتذكرني

لنسياني لها. أعادتنني لهدوئي جدران المكان التي كانت كلها تحمل صورة واحدة تقريبا، هي صورة قطعة بمختلف الأوضاع والزوايا وبلون أصفر، يجعلها وكأنها حقل من زهور عباد الشمس، وقد غمرته شمس ذهبية ساطعة، مما جعلني أفرك عيني متسائلا في نفسي إذا ما كنت في حلم أم أن قطاراً حقيقياً قد ألقى بي في هذه البلدة. قالت:

- إنه معرضي!

وأضافت مبتسمة وهي تشير لبيت كبير جميل تتسلقه شجيرات اللباب، وكأنها تعتذر:

- ذاك بيتي، وقد جعلت هذا الجناح منه معرضا للوحاتي!

قلت مندهشا، متسائلا:

- ولكنك ترسمين القطعة فقط

قالت:

- لأنني أحبها، أحبها كثيراً وأنا محرومة منها!

عجبت حقا، كيف يمكن لهذه المرأة الحسنة والتي تبدو ثرية أنها لا تستطيع امتلاك قطعة، وقد أزمعت في نفسي أن

أهديها قطعة إذا أرادت، حتى لو اقتطعت ثمنها من لقمتي:

قلت:

- ولكن القطط متوفرة، كثيرا!

قالت:

- هذا صحيح، ولكني لا أستطيع اقتناء قطعة في البيت لأن زوجي يعاني حساسية من شعر القطط

وأشارت إلي محل الأحذية الكبير الذي مررت به قبل قليل قائلة:

- إنه يمتلك محل الأحذية هذا والوحيد في البلدة، وهو لا يبخل علي بقطعة مهما غلا ثمنها، ويتمني حقا لو يجد لي قطعة

بلا شعر.

رحت أدير بصري بين وجوه القطط المرسومة بالزيت واللون الأصفر المائي والتي بعضها دون زجاج وبعضها بإطارات سميكة مزخرفة ومذهبة والبعض الآخر بأطر حديثة، وقد بدت لي بعض القطط تحمل وجوها بشرية معروفة حتى إنني سألتها إن كان وجه أحد الهررة هو وجه فكتور هيجو والهر الآخر يحمل وجه تشرشل أو إذا كانت الأخرى هي وجه اليزابيث تايلور:

لكنها قالت:

- أنا أرسم وجه قطة واحدة، ربما هي تلك التي كانت في بيتنا وكنت أحتضنها وأنام بجانبها عندما كنت طفلة!
- ثم تحشرج صوتها بحزن وهي تضيف:
- أو هي التي سأظل أحلم بها مدى العمر وأتمنى لو أجدها!
- وأضافت وهي تطلق آهة حرى:
- ولكن هيهات!

- وعجبت لهذه المرأة التي تحب قطتها المنتظرة كل هذا الحب وترسمها بألف لوحة ولوحة، كيف لا تطلق زوجها من أجلها، ولم أعد أصدق ما يقال عن أن المرأة السويدية تطلق زوجها لأتفه الأسباب، حتى إن إحداهن كما قالوا طلقت زوجها الذي عشقته عشر سنوات، لأنه انتهر كلبها.

- شعرت حقا بالحزن لها ولقطتها الحبيسة في اللوحات، وهممت أن أسألها، إن كانت حساسية زوجها ليست من شعر القطط بل من جلود الأذية في محله الكبير الذي يحتكر فيه بيع أذية الناس في البلدة، لكنني وجدت أن هذا قد يفجر خلافا عائليا بينهما لا تعرف نتائجه. شعرت بفرح غامر لمراى هذا العدد من وجوه القطط وتذكرت قطتي الحبيسة في أعماقي فجأة، والتي عشت طويلا شريدا وحيدا أحلم دوما بفروتها الناعمة الكثيفة وشعرها المنسدل حول وجهها تغوص فيه أصابعي الطويلة الناحلة، ويتلاشى حزني كله وأنا أتبه بعينها الزرقاوين كنت دائما أتصور إن قطتي الجميلة تسرح وتحلق في أعماقي وتطل على الناس من عيني، وفكرت أن أطلب من هذه الرسامة أن تلتقطها من أعماقي وتسجنها مع قططها وتريني منها، ولكنني تذكرت موعد قطاري الموشك على الرحيل ولعنت قطارتي الراحلة دوما وتمسكت بنفحة الفرح التي وهبتني إياها هذه المرأة الجميلة ذات البيت المنزوي وراء المقبرة فقلت كأني أهبها مكافأة:

- أنصح زوجك ان لا يقترب من لوحاتك لأنها تحمل قططاً حقيقية وأخشى أن يستنشق شعرها! قالت وهي تبتسم:
- شكرا

هممت أن أقول "ربما من حسن حظ الفن أن زوجك يعاني حساسية من شعر القطط!" لكنني شعرت على الفور بسماجة عبارتي فقلت بصوت يحمل نبرة العزاء:

- من حسن حظ الفن أنك لن تجدي قطتك المنشودة ليحصل على المزيد من قططك الجميلة!
- رفعت رأسها وراحت تتأمل وجهي، وسألنتي بنبرتها الحزينة الآسية:
- أتعرف أين يمكن أن أجد قطة بلا شعر؟

فوجئت بسؤالها يطيح بي من ذروة نشوتي، وخيل لي أن قطتي الجميلة تسقط في أعماقي وترقد ميتة منذ ألف عام. ترى ما الذي رأيته في لتعتقد أنني أستطيع أن أدلها في هذه الدنيا على قطة بلا شعر؟ ماذا؟ أتعقد أنني غريب من بلاد إحدى عجائبها قطط بلا شعر أو ربما بأجنحة ملساء كخفافيش الأفلام؟. ماذا رأيت في وجهي ونبرة صوتي يذكرها بقطة بلا شعر؟ توقعت أنها ستري قطتي الحلم الجميل تطل من عيني، ألهذا استقبلتني بلهفة؟. سارعت للخروج من معرضها وقد تبعنتي إلى الباب وسلمتني بطاقة تحمل صورتها وعنوانها ورقم هاتفها، وهي تقول:

- علك إذا وجدت هكذا قطة تتصل بي

تناولت البطاقة وأنا أتأمل وجهها الأشقر المستدير العذب الملامح، مقدراً أن القطة الضائعة في أعماقنا يمكن أن تنتشب مخالبتها بأعصابنا أحيانا. قلت جازماً وأنا أهم بالانطلاق سريعا للحاق بقطاري الأخير:

- أعدك، بل أنني سأبلغ أصدقائي ومعارفي أن كانوا يستطيعون أن يساعدونا بالعثور على قطة بلا شعر!

السويد

طائر النار

مَالِي كَالْهُدُودِ
أُرْسَفُ فِي أَسْرَارِ الْكُونِ
خَبِيرًا
جَوَابِ الْآفَاقِ
أَدْرِكُ مَا يَجْهَلُهُ النَّبِيُّ سُلَيْمَانُ
عَلِيمًا كَطُيُورِ الْجَانِ
قَلْبِي مَوْصُوفٌ
وَدَمِي
وَدِمَائِي
وَقَلِيلٌ مِنْ رِيثِي
وَأَنَا مَطْلُوبٌ حَيًّا
مَرصُودٌ
هَدَفٌ لِلْقِتَاصِينِ
وَسِيهَامِ الْجُهْلَاءِ
وَقِتَاوِي الْحُكَمَاءِ

مَا لِي لَا يُطْفِئُ غَلْتِي الْحَرَانَةُ
هَذَا الْعَطَشُ الْبَارِدُ
هَذَا النَّهْلُ الْمَارِدُ
مَالِي أَلْتَحِفُ النَّارَ
وَأَصْعَدُ مِنْ مَلَكُوتِ الشَّمْسِ خُرَافِيَا
قَدَيْسًا وَثَنِيَا
يَنْتَعِلُ الشَّمْسَ
وَيَجْرِي مَعَهَا عِبْرَ كَوَاكِبِ مُعْتَمَةٍ
بَيْنَ مَجْرَاتِ وَقُضَاءِ
وَقَوَى جَذَبِ مُتَنَافِرَةٍ
وَتَرَأَشِقُ شَهْبِ ثَائِرَةٍ
وَتَصَادِمُ كَتَلِ طَائِشَةٍ
وَصَوَاعِقِ ضَارِبَةٍ
وَقَوَى خُرَفَاءِ
مَالِي لَا يَفْضِلُنِي عَنْ هَذَا النَّوْمِ
سِوَى إِغْفَاءِ حُلْمِ
أَتَعَشَّقُهَا صَبًّا لَا أَمْسِكُهَا

مراكش

محسن الموسوي

الزهر الشقي

على الرغم مما تبديه رواية "الزهر الشقي" لعزيز السيد جاسم (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨) من يسر بالغ في التعريف بمسيرة شخصيتها الرئيسية، المتحدث وائل، إلا أنها تعد واحدة من الروايات التي تفتتح أمام سلسلة لا تنتهي من التأويلات والقراءات. وحتى عندما تحتضن رسالة الإبتداء أو الاستهلاك رحلة السرد وسرديات رحلاتها، يمكن للقارئ أن يوضع هذه الرسالة في ما يتركه الحذف والكتب من ستراتيجمات، تعلن لتخفي، وتظاهر اعلاناً لتنتسّر على مكيدة السرد البالغة التي تنفجر في مجموعة من طرائق الانشاق والكرنفالية التي تمنح الرواية ثراءها. إذ يمكن أن نطمئن الى الرسالة التي تترك لأي قارئ، ونرى فيها تشتت شخصية المتحدث، أنكسارها المتصل متوجاً بنكسة حزينان، لكن التاريخ الفعلي للحدث فيها تحده الاحداث والنفاصل ما بين ١٩٦١ - ١٩٦٤، ليلتقي بعددٌ بمني، فتاة اليسار المتفقة العارفة التي تستدرج عنده ثلاثة خطابات تحيل على الاهتمامات النظرية المستجدة، وهي تنفرع في غيرها لتنتصر تنظيراً وتكويناً لقضية المرأة، مؤكدة ما ذهب

اليه الكاتب في حق المرأة (١٩٨١)، والمفهوم التاريخي للمرأة (١٩٨٧). لكنها تنتصر كذلك للفكرين الماركسي والوجودي في مسعى للأتلاف بين الاثنين، ما بين انتماء جمعي أو فئوي أو انتماء ذاتي، كما تذهب الى ذلك المجادلة بين وائل ومعز ووهاب، الشخوص الثلاثة الذين يحبون منى، بينما لا ترى هي الأخرى تناقضاً في أن تحب الثلاثة، حباً واسعاً يضيق الحب الشهبواني العادي أمامه. لكن (منى) التي تقرأ في شخصية المتحدث، ماضيه المستلب وانحداره الريفي التقليدي تستدرجه الى المساحة التي لا يتردد في الحديث عنها ما دامت فضاء يتسع لكبرياء السياسيين من متقفي تلك الخلفية الاجتماعية والدينية. ولهذا تسأله عن تجربة السجن، ليأتي الحديث بمثابة خطاب بديل ملئ ومكتنز بالحدث وتفصيله ومشكلات الاوضاع السياسية وتناقضات الانظمة ما بين الشعار والانتقام العنيف من الساسة والمتقنين. وفي تلك الرحلة، تتيسر الفرصة للقارئ للتعرف على تجربة عنيفة عن حياة السجن، لكن الاهم فيها هو ذلك الاشتباك ما بين خطاب الهيمنة ممثلاً بالمحققين والحرس، وخطابات المخاتلة والمواجهة التي يأتي بها السجناء. وقد تلعب (كرنفالية) الاجتماع بين السجناء دورها في تخطي حدود الهيمنة، وهدمها، لكنها ليست بقوة (الخلفيات) الأخرى التي يعجز عن احتضانها الخطاب السياسي عند الطرفين: فالإيدولوجية الرجعية، بشتى صنوفها، وهي تعد هيأتها ومجالسها العرفية لمواجهة المتقنين ومحاربتهم ومحاكمتهم، تجد نفسها مبتلاة ومتحيرة وخائفة برغم كل ما تمتلكه من جبروت العقاب والتدمير (من تعذيب وسجن ... الخ).

ولهذا يعلن المحقق (ص ٢٠٢) انه ليس خائفاً مما يشاع عن قدرات وائل في السحر والتنويم المغناطيسي، وهو مستعد لاستحصال المعلومات منه في غضون دقائق خمس، والا يقتلعه من الحياة كما يقتلع زر قميصه، الذي اقتلعه حينذاك. وتأتي الخدعة التي يمارسها وائل (ص ٢٠٣)، بمثابة مفارقة ساخرة، فما يعتقد المحقق انه قادر على احتوائه، يحيله ثانية الى مخدوع، اكثر من زملائه الذين يخيفهم السحر والتنويم المغناطيسي.

لكن السجنانيين، أدوات التعذيب، يواجهون بما لا أمر لوائل عليه: فائتاء التعذيب والاهانة، يفقد الوعي جزئياً، ويندفع نحوهم بقوة هائلة، مستعيناً باستدعاءات "عاشوراء"، وهو ينادي سيد الشهداء، بينما يستغرب السجنانون ذلك من (ملحد)، كما يقولون. لكن الايام التالية تأتيه باعترافات السجنان، الذي يزوره في الحلم من يحذره من مغبة المشاركة في جرائم الحكم. ومهما كان تأويل ذلك، فإن الرواية تترك للقارئ تفسير التحولات في الشخوص. فالتحولات في المواقف والشخوص قد تتحقق، كما يقول باختين، في خلال كلمات تثير علاقاتها بالمستمع شيئاً ما، يتغير باستمرار. وقد يكون الاستدعاء المذكور من عاشوراء قد استدرج معتقدات وخلفيات تقيم في ذهن السجنان والحارس، لتضعفه وتستعيده الى صف المغدورين. أي ان الرواية تترك تأويل ذلك للقارئ، كما هو أمرها عند استقبالها لفريد الدين العطار والحلاج وآخرين، فكل كلمة أو مقتبس أو إشارة تتعاقد وتتكلف في الدلالة الأنية داخل النص، أو خارجه في العلاقة مع القارئ.

وبينما تكون (منى) بمثابة الاستقطاب والتحفيز في الرواية، فإن فقدانها لا يقل اثراً عن ضياع نقاط الاستناد الأخرى في شخصية المتحدث، وبدونها يسقط بطل الرواية في سلسلة من المساعي واللقات لترميم هذا الفقدان، فتكون رسالة التقديم بمثابة تنويع لهذا الحس المتزايد بالتشتت والاندحار مقابل ماكنة عنية من السلطة والمال والدمار والفساد الناجم عن ذلك. ان رواية الزهر الشقي تحرر الرواية من (اجتماعية) العلاقة التي تحددت عندها الكتابة لفترة ليست قصيرة، كما انها تحيل على النظرية المستجدة في تفجير الخطابات من خلال استقراء طاقاتها المعلنة والمكبوتة، مقابل الهامشية منها والمغدورة التي تتشبث بمساعي الحضور امام السائد والمقبول من قبل الفئات المهيمنة.

تونس

جمال الموساوي

خطى ورقاء

من أين تأتي الريح؟
من أي احتمال تخرج الغابات؟
من أي الجهات أحارب العدم القريب؟
أعود بعد مسافة - بيدين
واضحيتين

من صخب غريب، لا تجاوره المدائح
واللغات المرسلات على المرايا أو على
قلق الكلام.
أرى خطي
ورقاء
لم يلحق بها تعب.
لها أسرارها. لي شكلها...
بيدين واثنتين أحضن غيمة.
أغري سؤالا بالفداحات الكثيرة.
بالخسارات المعقدة القريبة والبعيدة.
... ..
لا أفتش في الإجابة عن أحد.

الرباط - المغرب

محمد رضوان

رائحة الموت

كفّت قدماه عن المشي، تطلع حوله، أصاخ السمع، لا أحد سوى دبيب الصمت الموحش يزحف مذعورا فوق صخور اللجاة الهرمة.

كان للمساء ملمس أفعى حذرة، وللقلب ارتعاشة توجس وانتظار وجلة، ترى أين اختفت سعدي...؟ يسأل... أين خباؤها؟ تكاثف في أعماقه حزن غامض امتزج بذكرى أحداث مضت، بصور من ذلك الماضي المنتهك: كانت سعدي تركض في أزقة القرية وهي طفلة تهش الإبقار بالعصا وتلاعب ذبولها بمرح طفولي، حتى تمر بخليل وهو (ينقطرز) كالغزال في ساحة القرية الصغيرة، يتضرج خذاها بحمرة الحياء، وترتعش الوجنتان ارتعاشة خجولة وتطل العينان ثابتتين في نقطة ما كأجمل عينين رأهما خليل..، فيهما بريق حياء يمتزج بطهر وشوق يضجان ببراءة الأطفال، عينان أجمل من كل ما رأى من العيون. تتحولان إلى ذراعين يحتضنانه حتى الانتشاء، إلى جناحين يطيران به نحو عالم أكثر بهاء وحرية من عالم القرية الضيق، هذه القرية المتوجسة التي تتسلل روحه من جسده بصمتها الذليل، في امتثالها لاوهام الخوف والرعب التي يبثها (جدعان الفهد) بين الحين والآخر.

رجل يعرف كيف يزرع الكأبة في بيوت القرية ويمنع حتى الهمس فيما بينهما.
فجأة أحس خليل أن المساءات الفائتة لم تكن بهذه القتامة. لم تبعث فيه الحزن كهذا الحزن الذي يقبض القلب بل أن بعضها كان يشع فرحا لذبا... ناعما، يلتف على النفس كوشي شفاف، فرح ربما تغيب تفاصيله، تختفي أو تتلاشى، لكنه لا يبرح القلب، له فورة الأشياء وتوهجها... توترها وجموحها، سيلانها المنعش في مسامات العزلة الموحشة.
(ترى أين اختفت سعدي؟).

(أين خباؤها؟ ألا يدلني أحد إليها...؟...؟...؟...؟...؟)

كان السؤال ثقيلًا على أهل القرية المذعورين الفلقين المتوجسين، لقد استكانت القرية وامتنعت عن الكلام كأن زلزالاً من الصمت أغرقها حتى حافة السطوح الترابية الآيلة للسقوط، حتى امه التي تعرف كل شيء، أثرت الصمت والاختفاء وراء خوفها المرّ من آل الفهد ومن عبث الأيام القادمة في حياة خليل، التائه، المدلل، المسكون بالحزن والغضب.

كان طيلة الأسابيع الثلاثة يتسكع كالمجنون في غابة الصخور الرمادية العملاقة الممتدة الى نهاية الدنيا، كما خيل اليه، يقفز بين حين وآخر متحاشيا السقوط في شق صخري أو حفرة بركانية ناسيا تعب المسافات الذي أحرق أرض قدميه المتورمتين.

أخيرا استسلم لفكرة العودة الى القرية بعد تيهٍ دام أياما، كان قد حسبها أكثر من قرن، همس في داخله (يا ويله ان مسّ شعرة من سعدى)، فظهرت أمامه، على رقعة من البازلت، صورة (جدعان الفهد) بتفاصيلها الشرسة، يغلفها صلف وكبرياء ينتميان الى تاريخ يثير الريبة والشكوك حول علاقة هذه الاسرة مع العثمانيين ومن بعدهم الفرنسيين الذين منحوا - آل الفهد - عددا من الاوسمة، تقديرا لخدماتهم في الكشف عن مخابىء الثوار وأنصارهم في اللجاة. لقد كان اختطافه لسعدى أشبه بالجنون، لا بل هو الجنون بذاته. هكذا راح أهل القرية يتناولون الحديث بصوت خافت أو بهمس خذر.

انه الجنون لكنه الحب أيضا، يغلق جميع نوافذ الحذر والتوقعات غير آبه بشيء، ويترك نافذة وحيدة مفتوحة على سهوله المعشبة وهضابه اليبانة.

كانت توقعات خليل في تجاوز محنته ونجاحه في الهرب مع سعدى والاختفاء بعيدا، ضريبا من الاوهام، فَيَدُ جُدعان الفهد كانت اطول مما توقع، كان المدى مفتوحا له، والرجال الذين ظنهم خليل سيحمنونه وينصرون قضيتته كانوا نعاجا أمام جدعان الفهد.. سيل من الأفكار راح ينهال عليه، يدك مخيلته ويستقطب شتات مشاعره ويعيد الى رأسه صوت أبيه المحقون بغضب دفين:

(أترضى تدمير القرية وخرابها؟). كان يداعب لحيته البيضاء بقلق منتظرا الرد. الا أنه تابع بعد صمت كاد أن يطول: (ارحل عن القرية الى أى مكان، السويدا. الشام. حلب. بيروت.) الى أى مكان. المهم أن تبتعد حتى تنسى وينسى أهل القرية الحكاية. أنت تعرف جدعان الفهد يا ولدي. لن يغفر لك هذه الطعنة. ارتعد في دخيلته غيظ مكتوم. تمت بحقد:

(لا أريد أن أنسى. لا يهمني أحد. صار بيني وبين آل الفهد نار لا يعلم الا الله متى تخدم.) حيرة مجنونة كانت تنتاب الأب العجوز حين يخرج خليل من البيت وتزداد حين يتأخر قليلا عن العودة اليه، والأم كتبت عند الشيخ ذياب للمرة الثالثة (تحويلة) تحميه من كافة الشرور وأبناء الحرام. لفتها بقطعة جلد من ساق جزمة عتيقة - كان قد اشتراها الأب منذ زمن من جندي هارب من الجيش الفرنسي عبر القرية ولم يعد اليها. أخاطبتها بشكل محكم وأنيق وعلقتها أخيرا في عنق خليل. الا ان كل ذلك لم يغير شيئا من دعر الأب ومرضه، من صمت الأم واحجامها عن قول الحقيقة لأصغر أبنائها الثلاثة، المدلل.

كانت سعدى قد ماتت في اليوم الأخير من تموز. كان الوقت ضحى حين سال من فمها الصغير لعاب لزوج وسميك. حاولت ازالته بطرف كمها، لكنها أحست أن يدها مشدودة الى وتدٍ في الأرض، وأن صدرها ينوء تحت صخرة يشند ثقلها كلما ارتفعت الشمس قليلا في السماء.

لم تعد ترى سوى سحابة من رماد تغلفها بخدر بطيء وتلغي الأشياء من حولها. حاولت الصراخ أكثر من مرتين، الا أن احداً لم يسمعه على الإطلاق. كان الصدى يتردد الى أعماقها بوهن الاحتضار. وكدعابة النعاس، ماتت سعدى بهدوء كزهوة برية في أرض قاحلة.

يومها أنهمر مطرٌ غزيرٌ على القرية، ونمت اعشاب برية في غير موسمها. وحلقت في الفضاء طيور صامتة، حط بعضها على حافة السطوح بخشوع، وتدلّى البعض الآخر من النوافذ بانحناء وداع، وراح سرب باتجاه (خشخاشة) آل الفهد. ينتظر الجنازة.

وعوت الضباحة في منتصف النهار، وصممت أجراس الأغنام على غير عاداتها كانت جميع الكائنات والأشياء تشكل بصمتها الجليل موكبا وقورا مهيبا يسير خلف جثة سعدى نحو المقبرة.

كان الليل قد افترش الأزقة والحيطان الزرقاء الداكنة حين ظن جدعان الفهد. أن دفنًا قد تمّ بسريرة تامة. وسيبقى موتها سرا من أسرارها، التي لا يعلن لأحد أن يعيب بها، الا أن رائحة الموت كانت تتنفس داخل الأشياء وتهول مسرعة نحو بيوت القرية.

كان عويل الريح قد اشتد بعد ظهيرة اليوم التالي مما جعل خليل يتوقف

قليلا بين صخرتين، يلتقط أنفاسه، ويعيد ترتيب خطواته القادمة فخشخت أجساد صغيرة بين الشقوق، وعبقت رائحة نباتات برية لم يعهدها من قبل، وفرت بعض الطيور مذعورة وحلقت مبتعدة في الفضاء الرمادي الداكن. تمنى لو يهدأ في رأسه جنون الأفكار، تدفق الهواجس التي تأتي أن تغادره.. كوجه سعدى الطفولي، الذابل، كما راه آخر مرة... وجهه بطوقه منديل ازرق وتضيئه ضحكة مرحة، غير أنه كان يكفهر بين لحظة وأخرى كغيمة تنذر بالمطر. (ترى أين هي الآن)؟!.

أرقه السؤال. مما جعله يفكر باستخدام أحداث مضت. صور من ذلك الماضي المنتهك، حاول أن يعيد ترتيب الأحداث كما وقعت منذ ارتباك ضحكاتها الغامضة في أول لقاء حتى يوم اختفائها فاستنتج أن (عطرشان) لا يمكن أن تخبئها، فهي الواشبة الوحيدة التي فجرت ظفيتها وكرهيتها لسعدى، التي انتزعت منها سليم - المهر الوحيد لزوجها - الذى كان يمتطي صهوتها ويطفئ جبال النار في أدغالها حتى الفجر بعيدا عن أبي سليم، الذى ما أن يعود من الحصاد حتى يغتسل ويتعشى ثم يتكى على مخدته ويبدأ بالشخير حتى موعد الندى.

سعدى حتى ذلك الحين، لم تعرف معنى الحب، ولم تفكر به يوم تزوجت سليم. كانت فقط كأي امرأة في القرية تنفذ اتفاقا تم بين أسرتين، لأنه لا بد لأي امرأة من الزواج.

حين يأتيها النصيب، قد يسطع نجم الحياة في أعماقها وقد يخبو الى الأبد، تماما كما حدث لسعدى في زواجها من سليم مرغمة، إذ مع الأيام راحت تكتشف بداخله رجلا سافلا.. حشرة دنيبة، صياد شهوة خبيثاً، يضاجع زوجة أبيه دون تردد.

فكر خليل، أن جدعان الفهد، بعقاله المائل وغرته المتدلّية على الجبهة الضيقة وبعبائه المذهبة الحواشي، وقبازه الأبيض النظيف، لن يسمح لأحد بمعرفة غايته ونواياه المبطنة، رجل يعرف كيف يخبئ أسرارها، حتى أن (معلم القرية) وخزان أسرارها، لم يكتشف أن جدعان الفهد لا ينفك عن مضاجعة زوجة ابنه المهاجر (شكرية) بنت هزاع الفهد، التي قطعت كل خيوط الأمل في عودة زوجها يوسف بعد اختفاء أخباره في فنزويلا منذ خمس سنوات.

(حسيبة) فقط أبنته الوحيدة. التي يكاد يأكلها عفن العنوسة هي التي تعرف. هي الشاهد الوحيد، لمرة واحدة فقط انزلق لسانها أمام سعدى. تمننت لو قطع قيل البوح بما رأته. من يومها غرقت حسيبة في فوضى الأثاث وزريبة الأبقار، وانهمكت بأخاطة الثياب السوداء حدادا على بكارتها الآيلة إلى اليباس يوما بعد يوم.

استعرض بقية الأسماء... لا أحد يعرف سوى امرأة واحدة.. ورجل واحد.

مع الغسق، حين عاد الى القرية، لم يكن ثمة اطفال يلعبون، وقد اختفت اصوات أجراس الأغنام والماعز التي استكانت في حظائرها، مغلفة بتعب النهار في البحث عن بقايا سنابل القمح التي يخلفها الحصادون وراءهم أثناء الحصاد.

كان صمت القرية يدوي في اعماقه كالضجيج أحس أن هذه البيوت الحجرية تموت ببطء، غارقة في كآبتها. الى أين يذهب الأن؟.. هل ينجه الى البيت مرة أخرى لسمع اسطوانة اللوم والتأنيب التي يعزفها أبوه تارة وأمه تارة أخرى!؟

(هل يمكن ل: شامل الصديق الودود) أن يغفر لي ويمنحني الطمأنينة، ويبدد هلعي، ويجيب عن سؤالي؟ هل؟ هل؟

ويدون تحديد مسار خطواته، المتناقلة، المتعثرة بنتوات الحجارة المنغرسه في الزقاق الترايب، فجأة وجد نفسه أمام بيت - أم شبلي - كان بودي يا أم شبلي أن تتزوجي حمدان الأخرس لكن هالوحش خيك ما بدو حدا يحب الثاني. ما بدو أى فرحة تتم بين اثنتين.

دق على الباب مرتين، فاهتز الفراغ كأنما يأذن له بالدخول، كانت هناك امرأة بدت وكأنها تنتظر قدومه قالت وهي تدعوه للدخول بصوت خافت ووجل:

- جدعان يبحث عنك

أغلقت الباب ثم تابعت:

- بدو يطلب منك طلب

- ما هو

- أن ترحل عن القرية وأطلب ما تشاء، لا يريد فضائح. فجأة جف حلق خليل حتى المرئ كانت الريح تحمل رائحة الماء بين وادي الارانب والصخور المبعثرة فوق ضفتيه الضيقتين يوم النقا للمرة الاولى واغتسلا من تعب الحصاد وتراشقا بمياهه حتى المغيب كان وجه أم شبلي ينذر بالشؤم، شاحبا، قاسيا وباردا، شجرة هرمة تدوى، عمر كسيح لا يتعدى ساحة القرية والزريبة وحقل الحنطة المجاور، سراج ذابل يتربع على رف الطين بوقار دليل.

سأل خليل محاولا استعادة توازنه وهو يدرك عبر هذه الكتلة الهرمة - أن أمراً قد حدث: - سعدى يا أم شبلي... أين سعدى؟

أحدث السؤال دويا صاخبا في رأس أم شبلي، وضبابا مرقطا في عينيها. فراحت تدور حول نفسها كما لو أن نوابض حزنها قد أفلتت منها، ثم سقطت على الأرض كأن الأرض قد بللتها الدموع. وغرقت في بكاء طويل، كان بكاء ناعما وحادا. أنه النحيب نحيب الروح الملفعة بالطهر وبراءة الضوء.

الآن فقط أدرك خليل أن ما كان يخشاه، وبأبى أن يفكر به قد وقع. الآن فقط أدرك أن سعدى قد ماتت. ولن يراها إلى الأبد هزها وهي جائية، غارسا أصابعه بلحم الكتفين الممتلئين.

- أين يا أم شبلي.. أين ماتت..؟

أختلط النشيج بلهات أنفاس وبعبارات مقطعة، تعلقها النههات.

- في القبو... جدعان... قال.. بالدار العتيقة.. رموها فيه.. حتى... ماتت... ماتت في القبو لم يكن ثمة هواء. كان عليها أن تمتص زفيرها، تستوقفه بيد مترامية، قبل أن يتبعثر في العتمة، تشم فيه رائحة دمها. ثم راح الهواء يتناقص الى أن أصبح خفيفاً جداً، شفيفاً أرق من الملامسة، فانفلت من بين أصابعها ونامت بهدوء شاحب الى الأبد. كان الوقت مساء حين انطلق ثلاثة أشباح باتجاه "خشخاشة" آل الفهد، يحملون فوق أكتافهم جثة سعدى ملفوفة بكيس من القنب. كان ثمة هواء شديد يضرب الشجر بنزق ويستبيح هدوء القرية كأنما خلت من ساكنيها، فجأة تعلقت نجمة ساطعة في سماء قاحلة ألفت على الكفن رذاذاً من الضوء.

في الصباح صرخت "حسيبة" مرتعبة. فتحت عينيها في ضوء النهار الساطع، وكأنها هاجسا معذباً يلاحقها، ركضت نحو الباب ثم الى فسحة الدار، فالبوابة الكبيرة، سمعت وقع خطى تتبعد ثم تتلاشى. كانت تتاديه لتطلب منه ألا يخرج اليوم، لكن نداءها اختنق ما بين الحجر واللسان، وضاع بين أغصان شجرة الدفلى الكثيفة.

حين خرج جدعان الفهد من بيته في الضحى، على غير عادته، كانت الريح تحمل رائحة الحصاد وبعض الأصوات المتلاشية وراء حيطان البيادر البعيدة، وبدأت الشمس تترد كل الظلال ببطء ثقيل.

كان ثمة كلب يلهث متسللاً من زقاق الى آخر يبحث عن الظلال الباقية، قبل أن تزحف اليها أشعة الشمس. استغرب جدعان الفهد حين اعترض الكلب طريقه وراح يبول أمامه، رافعا إحدى رجليه في الفراغ. كاد المشهد يكتمل لو أن جدعان الفهد امتثل لذهوله في اللحظة الأولى، أو طواع فكرة مجنونة قفزت الى ذهنه للتو، هي باختصار أن يثب نحو الكلب ويغرس سكينه التي يتأبطها، حتى في أوقات نومه، ويخلص عليه. الا أن جنون الأفكار لدى أمثال جدعان الفهد لا تدوم أكثر من ثوان.

أوشك أن يصرخ به، الا أن الكلب قفز من ثغرة في حائط الزقاق ثم أختفى. تابع جدعان الفهد طريقه قلقاً متوجساً، وفي اللحظة التي استدار فيها ليدلف عبر زقاق آخر. سقطت حزمة من شعاع الشمس في عينيها، اهتزت الرؤية أمامه، حاول أن يحفظ توازنه تأني قليلاً... ثم توقف.

في هذه اللحظة تسللت فوهة بندقية عبر فتحة ضيقة في الجدار المقابل. كانت الفوهة تتحرك ببطء شديد تبحث عن هدفها. مرة أخرى ظهر الكلب من خلف جدعان الفهد بحركة بهلوانية رشيقة محاولاً اعاقته وتثبيته في الباحة الصغيرة وسط القرية. كان جسده مكشوفاً في العراء ازاء الفوهة متوحداً معها. توقف الاثنان: الفوهة والجسد. ثم توقف الزمن لحظات. والصدى طقس السكون المترهل. سقط جدعان الفهد ببطء شديد كما لو أنه يشعر باعياء كانت الشمس قد خربت ما تبقى من ظلال الأشياء حين وصلت "حسيبة" الى المكان. لم يكن ثمة بشر هناك.

اقتربت منه، شمّت في ثيابه رائحة الدم. كان لا يزال ساخناً، يتدفق ممتزجاً بالتراب. ودت لو أدركته قبل أن يغادر البيت لمنعته من الخروج، الا أنها علّت نفسها أن أحلاماً كثيرة أنتها ولم تتحقق، لكن حلما جاءها ليلة أمس مختلف التفاصيل.

رأت أباه يشمرّ كم قبازه ثم يحمل سكيناً باليمنى، وعلق خروف باليسرى، بعد أن مدده على الأرض وجعله بوضعية الذبح. ثم حز عنقه بحركة رشيقة كما يفعل الجزارون الا أن حسيبة لم تر الدم يتدفق من عنق الخروف، وتساءلت من أين جاءت قطرات الدم المبعثرة على قمباز جدعان الأبيض؟

وقبل أن تقفز من فراشها مذعورة رأتها في اللحظات الأخيرة يأكل لحم خروف نيئاً. وضعت يديها على رأسها ثم غرست أصابعها الناحلة في الشعر الكثيف وشدته حتى كادت تقنعه، لم تعد صرختها مشروعاً مؤجلاً، لقد انفلتت منها، مدوية تردد خوفها وقلقها وانهارها، فسقطت فوق جثته.. غارقة في بكاء مر.

فقدت حسيبة الاحساس بالزمن وهي جاثية على صدر والدها القتيل، تنتظر من يأتي تلبية لصدى صراخها.

لكن أحداً لم يأت لها، ولم تبد الدهشة على أي من الوجوه. كانت الاستجابة كسولة بليدة، حتى من آل الفهد مما جعل حسيبة تظن أن كل شيء كان مرتباً ومخططاً له، بالتواطؤ مع خليل.

الا أن وقائع اليوم التالي صغعت كل الظنون وأيقظت الشكوك، وبعثرتها في أزقة القرية ومضافاتها لسنوات طوال. كان الوقت يقترّب من ساعة الدفن حين دوت في فضاء القرية الصغيرة صرخة امرأة قادمة من خلف الحواكير الجرداء لتتقب الصمت الجائزى ووقاره المصطنع.

هرع البعض باتجاه الصوت، ثم عاد أحدهم بعد وقت زهيد لاهثاً، ليعلن أمام الجمع بشيء من الدهشة والذهول: هذه أم خليل... وجدوا ابنها مقتولاً في وادي الأرناب.

سار الجمعُ كضجيج الدبابير، وتقاشرت على الوجوه أسئلة كيف حدث هذا...؟ كيف تم الأمر بأقل من نصف نهار؟ لا أحد يعرف.
حتى معلم القرية، ورئيس المخفر، والذين جاؤوا من بعدهما لم يعرفوا حتى الآن السبابة التي ضغطت على الزناد مرتين.

السويداء – سوريا

جيمس جويس

يوليسيس

مجلس عموم كيز (key(E) S)(٣٩) هكذا، كما ترى. مفتاحان متصالبان(٤٠) هنا. دائرة. ثم هنا نفس الشيء. الكساندر كيز، تاجر شاي ونبيدز وأشربة روحية. وهكذا.
من الأفضل ألا أعلمه شغله هو.
كما تعرف انت نفسك يا رئيس البلدية، ماذا يريد هو بالضبط. وفي الأعلى داخل إطار: مقرّ كيز. ألا توافق؟ هل تعتقد أن تلك فكرة مقبولة؟
حرك مراقب المطبعة يده الحاكة إلى أضلاعه الدنيا، وحكّ هناك بهدوء.
الفكرة، قال المستر بلوم، هي مقرّ كيز كما تعرف، يا رئيس البلدية، انه يعني مجلس النواب في جزيرة مان. إشارة إلى حكم ذاتي. سياح، كما لا يغيب عنك، من جزيرة مان. يأسرون العين، كما لا يخفى. هل تستطيع أن تقوم بذلك؟ بإمكانني أن أسأله ربما عن كيفية تلفظ تلك الـ VOGLIO(٤١) لكن إذا لم يعرف فسيكون محرجاً. من الأفضل ألا أسأله.
- نستطيع أن نقوم بذلك، قال مراقب المطبعة. هل لديك التصميم؟
- بإمكانني جلبه، قال المستر بلوم. كان في صحيفة KILKENNY(٤٢) لديه بيت هناك كذلك. سأذهب بسرعة وأسأله. لا بأس يمكن أن نقوم بذلك، مع مجرد فقرة صغيرة للفت الانتباه. تعرف ما جرت عليه العادة. مبانٍ مجازة رسمياً من الطراز الأول. هي حاجة طالما أفتتدت. وهكذا دواليك.
فكر مراقب المطبعة لبرهة.
- نستطيع أن نقوم بذلك، قال. دعه يعطينا تجديد أشتراكه لثلاثة اشهر.
جلب مصنف الحروف له، لوحة بروفة رخوة. شرع بتدقيقها بصمت، وقف المستر بلوم متفجعاً، مصغياً إلى الارتجافات الصاخبة لأذرع التوير، مراقباً مصففي الحروف الصامتين، قرب صناديق الحروف.

تهجئة الكلمات

يقتضيه التأكد من إملائه. حمى التدقيق. نسي مارتن كنينغهام أن يعطينا لغزه للمسابقة هذا الصباح. من المضحك أن نرى (R) واحدة في كلمة (unparalleled لا نظير له) و (R) مرتين في كلمة Embarrassment: أهي كذلك؟. حرف (s) المضاعف في Harassed pedlar (البائع المتجول المنهك) بينما عير عن نطق (au) في كلمة (symmetry التساوق) ب (Y) بكمثري مقشرة تحت cemetery wall (حائط المقبرة). شيء سخيف، أليس كذلك؟ لقد وضعت cemetery بالطبع بدلاً من symmetry كان على أن أقول حينما لبس قبعته على عجل. شكراً لك. كان على أقول شيئاً ما عن قبعة قديمة أو ما شاكل. لا. كان بإمكانني أن أقول تبدو بجودة قبعة جديدة الآن. وأرى مزاجه من ملامحه.(٤٣) هس. رفعت الطبقة الدنيا لأول ماكنة، إلى الأمام، لوحها، مع هس أول حزمة من أربع قطع من الورق مطوأة إلى ثماني صفحات. هس. كأنها إنسان في الغالب، في الطريقة التي تهس بها لجلب الانتباه. تبدل قصارى جهدها لتتكلم. ذلك الباب يهس صاراً كذلك، طالباً أن يغلق. كل شيء يتكلم بطريقته الخاصة. هس.

كاهن مشهور ساهم أحياناً

أرجع مراقب المطبعة لوح التنضيد فجأة، قائلاً.
 - انتظر. أين رسالة الأسقف (٤٤) سيعاد نشرها في صحيفة "التلغراف". أين. ذاك ما أسمه؟ تفحص ما حوله، حول مكانه الصاخبة التي لا تجيب.
 - مونكس، (٤٥) يا سيدي؟ تسأل صوت من صندوق قالب الصب.
 - إي، أين مونكس؟
 - مونكس!
 رفع المستر بلوم قصاصته. حان الوقت للخروج.
 - أذن سأجلب التصميم، يا مستر نانيتي، قال، وستعطيه مكاناً لائقاً، كما أعرف.
 - مونكس!
 - نعم، يا سيدي.
 - تجديد اشترالك لمدة ثلاثة اشهر أريد أن أبوح بشيء أولاً. أحاول على أية حال. أكد على شهر أوغسطس/أب. فكرة جيدة. شهر عرض الخيول. بولزبرجج. (٤٦) يأتي السياح لمشاهدة العرض.

مسؤول الطبايعين (٤٧)

سار خلال غرفة صناديق تنضيد الحروف، ماراً برجل عجوز، منحن، متعوين، متأزر. مونكس العجوز، مسؤول الطبايعين. لا بد أن مواد غريبة مرت بين يديه في حياته: بيانات نعي، إعلانات خمّارات، خطب، قضايا طلاق، أشخاص وجدوا غريقين (٤٨). إنه يقترب من نهاية عمره الآن. رجل وقور جاد ويمكن أن أقول مع قليل التوفير في المصروف. الزوجة طبّاخة وغسّالة بصورة جيدة. الأبنة تخطط في ماكينة الخياطة (٤٩) في غرفة الاستقبال. جين البسيطة (٥٠)، ما من سفاسف لعينة.

وكان عيد الفصح

توقف في سيره ليراقب منضد حروف يوزع بدقة حروف الطبع. يقرأها من النهاية إلى البداية أولاً. بسرعة يفعل ذلك. تتطلب مرانا mangid keirap (Dignam patrick) مسكين أبي بكتابه الهجادة (٥١)، يقرأه من آخره وأصبعه باتجاهي. عيد الفصح (٥٢). السنة المقبلة بأورشليم (٥٣). يا للعجب، يا للعجب، كل تلك القضية عما حملنا على الخروج من أرض مصر وإلى بيت العبودية (٥٤) هللوا (٥٥). اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد (٥٦). أو أن ذلك في الطقس الثاني (٥٧) من طقوس العبادة. بعد ذلك الأخوة اثنا عشر. أبناء يعقوب (٥٨)، ومن ثم الحمل والقطة والكلب والعصا والماء والقصاب. ومن ثم ملاك الموت يقتل القصاب وهو يقتل الثور والكلب يقتل القطة (٥٩). تبدو سخيفة إلى حد ما، إلى أن تتمعن بها (٦٠). العدالة ما تعنيه، لكن كل شخص يأكل كل شخص آخر. تلك هي الحياة مع كل ذلك. يا للسرعة التي يقوم بها بعمله. الاتقان بالمران. يبدو أنه يبصر بأصابه.

مرّ المستر بلوم خارجاً من الضجيج المقعقع، عبر الدهليز إلى منبسط السلم. والآن هل سأذهب لأصعد في الترام كل الطريق، ومن ثمّ قد أجده خارجاً. من الأفضل مكالمته هاتفياً أولاً. الرقم ٢ نعم. نفس رقم بيت "سيترون (٦١)" ثمانية وعشرون. ثمانية وعشرون مضاعف أربعة.

مرة أخرى لا أكثر ذلك الصابون

نزل من على سلم البيت. من ترى ذلك الشيطان الذي خربش على جميع تلك الجدران بعيدان تقاب. يبدو أنهم قلموا بها للمرانة. رائحة مشحمة حارة هناك دائماً في تلك الأشغال. رائحة غراء فاترة في بيت توم (٦٢) عندما كنت هناك. أخرج منديله ليمسح أنفه. رائحة أترج؟ أ، الصابونة (٦٣) التي وضعتها هناك ستفقدتها في ذلك الجيب، وبينما أرجع منديله، أخرج الصابونة وأخفاها، زررها في الجيب الخلفي من بنطاله. أي عطر تستعمله زوجتك. أستطيع أن أذهب إلى البيت مع ذلك: ترام: شيء ما نسيته. مجرد أن أرى: قبل: ارتدائها. لا. هنا. لا.

صريير ضحكة مفاجئ، جاء من مكتب جريدة "التلغراف" المسائية. أعرف من هو. ما الذي يدور؟ أزرق لدقيقة لأتلفن. إنه نذ لامبرت. دخل بتوعدة.

إرن جوهرة البحر الفضّي الخضراء (٦٤)

الشيخ يسير (٦٥) (بوزع المرتبات)، دمدم البروفسور ماكهيو (٦٦) بهدوء، قبالة لوح زجاج النافذة المترب وملء فمه البسكويت.

المسترد ديدلوس وهو ينظر بحدّة من قرب الوجار الخالي إلى وجه نذّ لامبرت الغريب، سأل عنه بحقنق: - أيها المسيح المعذب، ألا يسبّب لك ذلك، حرقة في عجزك؟
نذّ لامبرت، وهو جالس على المنضدة، واصل القراءة.
- أو ثانية، لاحظ تعرّجات جدول ذي خريز، بينما هو يخرّ في طريقه، بينما هو يتصادم في مجراه بعوائق صخرية، إلى المياه المتدفقة المضطربة لملك نبتون الأزرق. وسط ضفتين نديتين، تهويّه أرق نسائم الدّبور.
ترجمة: صلاح نيازي

الشروح:

- 39- هو مجلس عموم جزيرة . Isle of Man كان يحكم الجزيرة الملك بمجلس استشاري، والحاكم بمجلس استشاري ومجلس عموم كيز. بكلمات أخرى، كانت الجزيرة تتمتع بحكم ذاتي مشروط (وهو ما لم تتمتع به إيرلندا). المجلس في الأصل يمثل حكم القلة، ولكن بعد عام ١٨٦٦ م، أصبح أعضاؤه يُختارون بانتخاب شعبي. تويحي "كيز" كذلك ب "سلطة كيز" وهي السلطة الأعلى في الكنيسة التي تُعهد بالبابا كوريث للقديس بطرس.
أنظر إنجيل ص ١٦ : ١٩: "وأعطيك ملكوت السموات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات. وكل ما تحله على الأرض يكون مربوطاً في السموات".
40- شعار مجلس عموم كيز.
41- انظر الكتاب الجزء الرابع.
42- مقاطعة مدنية فيها كاندرائية، تقع على بعد أربعة وسبعين ميلاً جنوب جنوبي غرب ويلز.
43- استعم جويس هنا phiz أي physiognomy وتعني علم الفراسة أو قراءة المزاج من الملامح والأسارير.
44- ظهرت الرسالة في الرواية ولم تظهر في صحيفتين "فريمان" أو "التلغراف المسائية".
45- Monks: شخصية لا تعرف هويتها ولا أهميتها.
46- تقع ballsbridge جنوب شرقي ضواحي دبلن. يصف الدليل الرسمي لدبلن (عام ١٩٥٨) عرض الخيول الكبير: بأنه أكبر حدث يُحتفى به في وقائع دبلن الاجتماعية والرياضية. يُقام هذا العرض في الأراضي الزراعية لجمعية دبلن الملكية، حيث يجتذب إليه الرياضيين ومحبي مسابقات الخيول من شتى أنحاء الكرة الأرضية". أنشئت الجمعية عام ١٧٣١ لتعزيز الزراعة والفروع الأخرى من الصناعة، ولتعزيز العلوم والفنون. أقيم عرض الخيول في ٢٣ - ٢٦ اغسطس/أب عام ١٩٠٤.
47- يستعمل جويس هنا dayfather وهو رئيس الطباعين لذلك اليوم وهو في واقع الأمر ممثل نقابة. وال chapel كانت جمعية للعمال في مكتب طباعة تتعامل مع المسائل التي تؤثر في مصالحهم.
48- راجع ج (٤)
49- أي تكسب رزقها من عملها وليس من العمل لمستخدم.
50- plain jane مثل يقال للمرأة التي تكون تصرفاتها وملابسها بسيطة لدرجة الشدّة. و Jane أو Jean هو النسيج القطني المضلع، الذي يستعمل في صناعة البناتيل السروالية التي يلبسها الميكانيكيون فوق بناطيلهم العادية وقاية من الأتساخ.
51- تعني الكلمة العبرية: haggadah الإخبار. وهو ما سيرويه الأب لابنه في ذلك اليوم أي في الطقس الأول من اليوم الأول لعيد الفصح، حيث يروي قصة خروج الاسرائيليين من مصر، فتأخذ طابع الوقت الحاضر، حينما يعاد سردها وتمثّل بأشارات طقوسية في احتفال ديني في البيت.
52- انظر انجيل يوحنا، الاصحاح ٢: ١٣: "وكان فصح اليهود قريباً فصعد يسوع إلى اورشليم" وكذلك الاصحاح ٦: ٤، و ١١: ٤ استعمل جويس هنا كلمة pessach: وتعني عيد الفصح.
53- العبارة الأخيرة من الاحتفال البيتي في الليلة الأولى من عيد الفصح.
54- ينكر هذا الموضوع الرئيسي في الاحتفال في كتاب "الهجرة" ثلاث مرات: في البداية، وحوالي الوسط وحوالي النهاية: "وقال موسى للشعب اذكروا هذا اليوم الذي فيه خرجتم من مصر بيت العبودية. فإنه بيدٍ قوية أخرجكم الربّ من هنا... ويكون متى سألك ابنك غداً قائلاً ما هذا تقول له بيدٍ قوية أخرجنا الرب من مصر من بيت العبودية". (راجع خروج ١٣: ٣ و ١٣: ١٤).
55- alleuia كلمة لاتينية وأغريقية عن الكلمة العبرية: HELLELUJAH الحمد لله.
56- shema Israel adonai eluheno عبريّة. جاء في التثنية: "إسمع يا إسرائيل. الربّ إلهنا ربّ واحد" الاصحاح ٦: ٤.
57- يستعمل جويس هنا كلمة other. ذلك ما يربطه بلوم بالطقس الثاني على الرغم من انهما كليهما في الواقع لا يتضمنهما أيّ منها. إنه مذكور بالاسم بالطقسين في قصة صغيرة عن عدد من الأبحار الذين يستغرقون تماماً فيما يروون عن الخروج من مصر لدرجة ينبههم معها تلامذتهم إلى أن وقت تلاوة طقس "الصباح قد حان".

- 58- يربط بلوم أبناء يعقوب الاثني عشر (أنظر: التكوين: الاصحاح ٣٥: ٢٢ - ٢٧) بقبائل إسرائيل الأثنتي عشرة. يتضمن الطقس الثاني الازوجة التصاعدية: "من يعرف رقم واحد؟" وينتهي بالسؤال: من يعرف (١٣) والجواب أنا أعرف ١٣. أُل (١٣) هي صفات الإله: (١٢) هي قبائل إسرائيل، (١١) كواكب حلم يوسف، (١٠) هي الوصايا العشر، (٩) أشهر الحمل، (٨) أيام الطهور، (٧) حساب يوم الراحة، (٦) قوانين المشنا mishnah قوانين غير مكتوبة جمعت حوالي ٢٠٠ بعد الميلاد وتشكل أساس التلمود، (٥) كتب أسفار موسى، (٤) الامهات، (٣) الآباء، (٢) لوحا الميثاق، (١) ربنا في السماء وفي الأرض.
- 59- على غرار أنشودة chad gadya أي (جدي واحد): التي ينتهي بها الطقس الثاني. وهذا الطقس ينتهي بالشعر: " والواحد القدوس، تبارك هو، جاء وقتل ملاك الموت، ذلك الذي قتل القاتل ذلك الذي قتل الثور ذلك الذي شرب الماء ذلك الذي أطفأ النار تلك التي أحرقت العصا تلك التي ضربت الكلب ذلك الذي عضّ القطة تلك التي اكلت الجدي ذلك الذي جلبه الأب بدرهمين. جديّ واحد، جدي واحد.
- 60- تبدو أنشودة "جدي واحد" في الظاهر وكأنها أغنية أطفال، إلا أنها فسرت على أنها تاريخ للامبراطوريات المتعاقبة، التي دمّرت إحداهما الأخرى (المصرية، البابلية، الآشورية، الفارسية، الخ).
- 61- رقم ١٧ في شارع "سانت كيفن بيريد".
- 62- شركة الكساندر توم وشركاؤه المحدودة للطباعة. كانت تقوم بطبع جريدة "دبلن غزيت" كل يوم ثلاثاء وجمعة، وهي مكتب لبيع الاوراق البرلمانية، وقوانين البرلمان، ومكتب لقاموس توم الرسمي، تقع الشركة في ٨٧ - ٨٩ في شارع أبي ميدل.
- 63- تربط الرائحة، الصابونة بالأترج وهو شيء أساسي في عيد قبة العهد.
- 64- انظر الجزء الثالث وقارنها ب "نبض قلبي لجون فيليبوت كوران (١٧٥٠ - ١٨١٧) - المقطع الأول" عزيزي إرن، بالجمال صدرك الأخضر وهو يرتفع/زمردة موضوعة في دائرة البحر/كل ورقة في مروجك، يجلبها قلبي الوفي/أنت ملكة الغرب.
- قد يتضمن العنوان كذلك تلميحاً إلى ما قاله جون في مسرحية "ريتشارد الثاني" لشكسبير في مدح انكلترا: "هذا الحجر الكريم الموضوع في البحر الفضي". (الفصل الثاني - المشهد الأول - ٦٤).
- 65- يستعمل جويس هنا the ghost walks وهو تعبير يستعمل في المسرح والصحافة ويعني أن المرتبات دُفعت. كان ريتلج في يوم دفع المرتبات يحمل صندوق النقود معه من مكتب إلى مكتب في البناية القديمة، وكان يُعلن عن مجيئه بالتعبير: "الشبح يسير".
- كان بلوم كذلك يقوم بدور الشبح في مسرحية "هاملت".
- 66- قيل عنه بأنه عالم باللغات الكلاسيكية الحديثة، ووصف بأنه "ذكي وكسول". بكلمات أخرى، إنه ليس بروفسوراً تماماً.